

الإمام علي الهادي عليه السلام

قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام

عبدالله أحمد اليوسف

الإمام علي الهادي عليه السلام

قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

طبعة جديدة ومزودة ومنقحة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

سورة الأحزاب: الآية ٣٣

مقدمة الطبعة الثانية

أعطى الله عز وجل أئمة أهل البيت عليهم السلام من العلم والحكمة والفضل والشرف ما لم يُعطِ أحداً من العالمين، فأهل البيت هم «شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينايع الحكم» كما عبّر عن ذلك الإمام علي عليه السلام.

والإمام الهادي عليه السلام هو أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أظهر من العلم والمعرفة ما يُبهر العقول، ويدل على صدق إمامته؛ فقد أجاب عليه السلام عن أعقد المسائل العقديّة والفكرية والفقهية، كما فنّد النظريات الخاطئة، والثقافة المنحرفة التي كانت سائدة في زمانه. وقد كان لأرائه العلمية والمعرفية والكلامية دور مهم ورئيس في توضيح ثقافة الإسلام الأصيلة.

وبالإضافة للدور العلمي والثقافي المهم الذي قام به الإمام الهادي عليه السلام فقد كان له دور سياسي بارز تمثل في موقف المعارض للحكم العباسي الفاسد، وقاد مسيرة

النضال والكفاح ضد الظلم والاستبداد والانحراف والفساد الذي شاع في الدولة العباسية.

وقد عاصر الإمام الهادي عليه السلام ستة من الخلفاء العباسيين وهم: المعتصم، ثم الواثق، ثم المتوكل، ثم المنتصر، ثم المستعين، ثم المعتز. وكانت البلاد الإسلامية في ظلهم تعاني من المشاكل والفتن والظلم والاستبداد.

وقد ابتلي الإمام الهادي عليه السلام بهؤلاء الحكام الفاسدين الذين شوهوا الإسلام، وحرفوا قيمه ومفاهيمه، وأشاعوا الفساد والموبقات في المجتمع، وتلاعبوا بالمال العام، ونشروا الظلم في كل مكان. فما كان من الإمام الهادي إلا أن وقف موقف المعارض لحكمهم، وعمل ما باستطاعته من أجل الدفاع عن الإسلام وقيمته، وشَجَّع على قيام الانتفاضات الشعبية ضد الحكم العباسي الفاسد كي لا ينخدع الناس بتظاهريهم للإسلام في حين أنهم شوهوا مفاهيمه وأحكامه.

وقد أوضحت في هذا الكتاب بشكل مختصر أهم ما قام به الإمام الهادي عليه السلام من أعمال في حياته المباركة، ثم تطرقت لطريقة عمل الإمام وتحركه في ظل الظروف الصعبة التي عاشها، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية في سر من رأى، كما فرض عليه حصار اقتصادي خانق، وكان تحت المراقبة الشديدة من عيون النظام العباسي. ومع ذلك كان يمارس نشاطه وعمله كإمام معصوم، متحملاً مسؤولياته كزعيم ديني، وقائد عام للأمة الإسلامية.

قصة تأليف هذا الكتاب

لتأليف هذا الكتاب عن الإمام العاشر من أئمة أهل البيت عليه السلام قصة، تتلخص في أن الحوزة العلمية التي كنت أدرس فيها أعلنت عن مسابقة، لتأليف كتاب عن الإمام الهادي عليه السلام، على أن تقوم الحوزة بطباعة الكتب الفائزة بالجوائز الثلاث الأولى، فقررت المشاركة في المسابقة، وشرعت بقراءة الكتب التي تتناول حياة الإمام الهادي عليه السلام وفوجئت بقله ما نقله لنا التاريخ عن حياة الإمام الهادي عليه السلام، وقلة المصادر التي تتحدث عن حياته الشريفة بشكل تفصيلي.

ومع ذلك، لم أراجع عن تصميمي على الكتابة عن حياة الإمام الهادي، واخترت أن أكتب عن البعد الفكري والدور السياسي للإمام الهادي عليه السلام، وهو الجانب الأصعب في الكتابة عن حياته عليه السلام، باعتبار قلة المادة في هذا الجانب، وعدم تطرق الكُتَّاب إلى هذا الموضوع بصورة تحليلية إلا فيما نذر.

وتوكلت على الله تعالى، وأنجزت الكتاب خلال أسبوع واحد من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٠٤هـ، وقدمته للجنة المشرفة على المسابقة. وكانت المفاجئة السارة لي أن الكتاب قد فاز بالجائزة الأولى في المسابقة، وقد غمرني الفرح والبهجة لذلك الخبر السَّار!

وبعد فترة قصيرة من الزمن، صدر الكتاب مطبوعاً،

وكان هذا باكورة أعمالي في عالم التأليف. وقد شعرت بسعادة لا توصف وأنا أرى أن كتاباً يصدر لي للمرة الأولى في حياتي، وعمري آنذاك لا يتجاوز ٢١ عاماً مما شجعني على مواصلة مشوار الكتابة والتأليف، كل ذلك ببركة الإمام الهادي عليه السلام.

ولعله من باب المصادفة أو التوفيق، وأرجو أن يكون الثاني هو السبب، أنه وبعد ما رجعت إلى بلدي (بلدة الحلة بالقطيف) أخذت أصلي جماعة في مسجد الإمام الهادي عليه السلام، ولا زلت من عام ١٤١٠هـ وحتى كتابة هذه السطور (نحن الآن في عام ١٤٢٥هـ) مما جعلني أفكر بذلك ملياً!

سائلاً المولى عز وجل أن يحشرني مع محمد وآله الطاهرين في جنان الخلد، إنه سميع مجيب الدعاء.

الكتاب في طبعته الثانية

وبعد ٢٠ عاماً من صدور الطبعة الأولى قررت إعادة النظر فيه، وإضافة مواد جديدة، وتنقيحه، فأصبح الكتاب في الطبعة الثانية يزيد على ضعف ما كان في طبعته الأولى، وقد حافظت على منهج الكتاب ومحاوره الرئيسية رغم ما طاله من حذف وإضافة ضرورية فيه. واختتمت الكتاب بمجموعة من الكلمات القصار للإمام الهادي عليه السلام، وهي كلمات من نور تستحق منا الحفظ والعمل بها.

وختاماً

أرجو أن يتقبل مني سيدي ومولاي الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام هذه البضاعة المزجاة، وهذه الوريقات القليلة عن حياته المباركة، فهذا جهد المقل، المعترف بالتقصير والعاجز عن إدراك عظمة هذا الإمام العظيم.

كما أتمنى أن أكون قد قدمت للمكتبة الإسلامية شيئاً مفيداً ونافعاً عن حياة إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وإلى الله عز وجل أبتهل أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعمالي، وأن ينفعني به في آخرتي؛ إنه - تبارك وتعالى - محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبدالله أحمد اليوسف

الاثنين ١٤٢٥/٢/١ هـ

٢٢/٣/٢٠٠٤ م

المقدمة

الحديث عن أحد الأئمة عليه السلام يعني الحديث عن القيادة الرسالية، والحديث عن القيادة الرسالية يعني الحديث عن قلب الأمة النابض الذي يغذي شرايين الأمة بالطاقة والحرارة اللازمة للتطور الحضاري.

واليوم حيث تعيش أمتنا الإسلامية في حالة من الهيجان الثوري والبحث عن المعالم الحضارية للأمة، تصبح مسألة القيادة من الأولويات الأساسية والرئيسة في أي تحرك أو تغيير حضاري.

من هنا تأتي أهمية المعرفة بتاريخنا المشرق، لا سيما تاريخ أئمتنا عليهم السلام والذين رسموا لنا بدمائهم الزكية دروب الجهاد وأصول الصراع بين الحق والباطل.

وقد ارتأينا أن نسلط الأضواء على حياة الإمام علي الهادي عليه السلام، وأن نركز الحديث عن الجانب الجهادي في حياة هذا الإمام عليه السلام وذلك:

أولاً: لقلة ما كتب عن الإمام عليه السلام في هذا الجانب.

ثانياً: التركيز من جانب المؤرخين على حياة الزهد والعبادة والتفرغ للإفتاء من طرف الإمام عليه السلام، وإهمالهم الجانب الجهادي من سيرته عليه السلام.

ثالثاً: لأن الأمة اليوم هي أحوج ما تكون لأن ترتبط ارتباطاً عضوياً بقيادتها الرسالية، وتسليط الأضواء على جهاد الإمام الهادي عليه السلام سيكون بمثابة المحرك للجماهير المؤمنة.

وفي الأخير.. نرجو أن تكون هذه الأسطر قد استطاعت أن تكشف بعضاً يسيراً من حياة الإمام الجهادية، كما نأمل أن تستلهم جماهيرنا المسلمة من حياة الإمام أمجديات الجهاد.

ومن الله نستمد العون والتوفيق.. إنه ولي المؤمنين.

عبدالله أحمد اليوسف

١٣/٩/١٤٠٤ هـ

البطاقة الشخصية للإمام الهادي عليه السلام

جده:

الإمام علي الرضا عليه السلام.

أبوه:

الإمام محمد الجواد عليه السلام.

أمه:

سمانة المغربية.

ولادته:

ولد في بصريا - قرية في نواحي المدينة المنورة - في منتصف ذي الحجة وذكر أنه يوم ٢٧ من ذي الحجة، وروي أنه يوم الثاني من رجب، وروي أيضاً أنه يوم الخامس منه سنة ٢١٢هـ، وقيل ولد في رجب سنة ٢١٤هـ.

كنيته:

أبو الحسن. ويقال أبو الحسن الثالث.

ألقابه:

النقي، الهادي، النجيب، المرتضى، العالم، المتقي، الفقيه، الأمين، المؤمن، الطيب، المتوكل، العسكري، الناصح. واشتهر بالهادي والنقي.

نقش خاتمه:

الله ربي وهو عصمتي من خلقه. وقيل: من عصي هواه بلغ مناه. وقيل: حفظ العهود من أخلاق المعبود.

زوجته:

سليل، وقد كانت المفرع للشيعة في نقل الأحكام أيام الشدة.

أولاده:

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الحسين، محمد، جعفر، وابنته عائشة أو عليّة.

حفيده:

الإمام المهدي عليه السلام.

شعراؤه:

العوفي، الديلمي، محمد بن إسماعيل الصيمري، أبو تمام الطائي، أبو الغوث أسلم بن مهوز المنبجي، أبو هاشم الجعفري، الحماني.

بوابه:

عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد بن عثمان.

اعتقاله:

عاش مدة من العمر في سجون الظالمين ولا تزال آثار تلك السجون التي سجن فيها عليه السلام باقية إلى اليوم.

ملوك عصره:

المعتصم، الواثق، المتوكل، المنتصر، المستعين، المعتز.

مدة إمامته:

٣٤ سنة وقيل ٣٣ سنة.

عمره:

٤٣ سنة، وقيل ٤١ سنة، وقيل ٤٠ سنة.

وفاته:

توفي يوم الاثنين الثالث من رجب سنة ٢٥٤ متأثراً

بسم المعتز العباسي. وقيل: في جمادى الآخرة لخمس ليالٍ بقين منه. وقيل: يوم الاثنين لثلاث ليالٍ بقين من جمادى الآخرة.

محل قبره:

دفن في داره بسر من رأى - سامراء - وقبره اليوم ينافس السماء علواً وازدهاراً، تعلوه أكبر قبة ذهبية في العالم، استعمل في بنائها (٧٢٠٠٠) ألف طابوقة ذهبية ويزدحم المسلمون من شرق الأرض وغربها لزيارته والتسليم عليه، والتطواف حول ضريحه الأقدس، والصلاة في حرمه المشرف.

الفصل الأول

أعمال الإمام الهادي عليه السلام

قيادة الناس

تعميق الفكر الإسلامي

تفجير الأوضاع السياسية

العمل الأول:

قيادة الناس

لقد كان الإمام علي الهادي عليه السلام يقود الجماهير قيادة حقيقية، وكان يستولي على قلوب الناس، ومن يستولي على قلوبهم يستطيع أن يوجههم كيفما يريد « كان الإمام يقود الأمة قيادة حقيقية، ذلك لأن سيطرة الخلافة العباسية قد تراجعت منذ عهد الإمام الرضا عليه السلام إلى درجة أنها لم تكن تعني شيئاً كبيراً، وقد فرضت الحركة الرسالية نفسها على الأحداث بشكل كبير، فكان الإمام علي الهادي عليه السلام ينتقل بين المدينة المنورة وسامراء، وعندما يكون في المدينة فإنه يعيش وكأنه دولة داخل دولة، أي أن والي المدينة لم يكن له من القدرة والقوة ليفرض أي أمر على الإمام»^(١).

وبالفعل فإن الإمام عليه السلام كان يشكل دولة داخل

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٦٧.

دولة، وكان الإمام في المدينة هو القائد والموجه، وقد ارتبط الناس في المدينة بالإمام عليه السلام ارتباطاً عضوياً، ولم يكن للخليفة العباسي أي تأثير على الجماهير، وهذه الرواية تدل على ذلك: «قال المسعودي في إثبات الوصية أن بريجة العباسي صاحب الصلاة بالحرمين كتب إلى المتوكل إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منها، فإنه قد دعا الناس إلى نفسه واتبعه خلق كثير. وتابع بريجة الكتب في هذا المعنى، وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال علماء السير، إنما أشخصه المتوكل من المدينة إلى بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة المنورة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة وقال اذهب إلى المدينة وانظر في حاله وأشخصه إلينا، قال يحيى فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى الدنيا فجعلت أسكنهم وأحلف لهم إني لم أوامر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي وأحسننت عشرته»^(١) هذه الرواية تدل على عدة حقائق هي:

(١) في رحاب أئمة أهل البيت: ج ٤ ص ١٧٦.

١- إن الإمام عليه السلام كان يقدم نفسه كقيادة شرعية للجماهير « فإنه قد دعا الناس إلى نفسه واتبعه خلق كثير ».

٢- إن الإمام عليه السلام كان يشكل خطراً يهدد القيادة الرسمية (الخلافة)، وهذا يعني إن الإمام كان يتحرك للانقضاض على الخلافة غير الشرعية « إنما أشخصه المتوكل من المدينة إلى بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة وميل الناس إليه، فخاف منه ».

٣- إن الإمام عليه السلام استطاع أن يستقطب الجماهير نحوه وأن يؤلب الناس ضد الخلافة غير الشرعية « قال يحيى فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي وقامت الدنيا على ساق ».

وهناك رواية أخرى تدل على أن المتوكل حينما أراد أن يأتي بالإمام عليه السلام إلى بغداد كتب إليه كتاباً يظهر فيه حبه واشتياقه إليه وقد جاء في الكتاب: « بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك، راع لقرابتك، موجب لحقك، مؤثر من الأمور فيك وفي أهل بيتك، ما يصلح الله به حالك وحالهم، ويثبت به عزك وعزهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم يبتغي بذلك رضا ربه، وأداء ما فرض عليه فيك وفيهم ».

فقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما

كان يتولى من الحرب والصلاة بمدينة الرسول ﷺ إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك، واستخفافه بقدرك، وعندما قرنك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك في برك وقولك، وأنت لم تؤهل نفسك لما قرفت بطلبه.

وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل وأمره بإكرامك وتبجيلك، والانتهاه إلى أمرك ورأيك، والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك، وأمير المؤمنين مشتاق إليك، يجب إحداث العهد بك، والنظر إلى وجهك.

فإن نشطت لزيارته والمقام قبله، ما أحببت، شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت، وتنزل إذا شئت وتسير إذا شئت كيف شئت، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون برحيلك، ويسيرون بسيرك، فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدمنا إليه بطاعتك.

فاستخر الله حتى توافي أمير المؤمنين، فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منك منزلة ولا أحمد له أثره ولا هو لهم أنظر، ولا عليهم أشفق، وبهم أبر، ولا هو إليهم أسكن منه إليك، والسلام عليك ورحمة وبركاته.

فلما وصل الكتاب إلى أبي الحسن عليه السلام تجهز للرحيل

وخرج معه يحيى بن هرثمة^(١).

نستنتج من هذه الرواية عدة حقائق هي:

١- إن هذه الرسالة من المتوكل إلى الإمام إنما كانت بعد الوشايات والشكايات التي كان يقدمها والي المأمون في المدينة وجواسيسه ضد الإمام للمتوكل، وهذا يعني إن الإمام عليه السلام كان يهدد الحكم العباسي بالخطر، وإن الإمام كان هو المسيطر على قلوب الناس، ويستطيع تحريكهم متى ما أراد.

٢- إن الرسالة كانت توحى بأن المتوكل يريد تكريم الإمام والحفاظ عليه، مع العلم بأن المتوكل كان من أشد الخلفاء بغضاً للأئمة، حتى أنه أمر بحفر قبر الإمام الحسين عليه السلام وقتل كل من يزوره!! إنَّ هذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة الإمام عليه السلام وإلا فإن المتوكل ما كان ليكتب بهذا الأسلوب، وهل رأيت - عزيزي القارئ - إنساناً يكتب لعدوه اللدود بمثل هذا الأسلوب إلا لخوف منه؟؟!

٣- إن كلمة (أمير المؤمنين) تكررت في رسالة المتوكل للإمام ثمانى مرات، ويقصد بها نفسه -أي المتوكل-، وهذا يدل على أن المتوكل كان يريد أن يوضح للناس وللإمام بأنه ما زال هو الخليفة والحاكم، وإن الإمام عليه السلام لا يمثل إلا نفسه

(١) البحار، ج ٥٠، ص ٢٠٠، رقم ١١.

وإن علي الجماهير أن تخضع لقيادة المتوكل لا الإمام عليه السلام.

٤- أراد المتوكل أن يدخل الإمام عليه السلام في لعبة سياسية « وأمير المؤمنين مشتاق إليك يجب إحداث العهد بك والنظر إليك » وهو نفس أسلوب من سبقه من الخلفاء، كما فعل المأمون قبله مع الرضا والجواد عليهما ومحاولة دمجهما في الجهاز الحاكم ليكونا تحت رقابة القصر مباشرة، وهذه المبادرة من المتوكل تدل على ضعفه لأن إدخال الإمام في الجهاز الحاكم يعطيه شرعية البقاء.

فالإمام الهادي عليه السلام إذن كان قيادة حقيقية، يوجه الناس نحو القيم والمبادئ ويرشدهم إلى الطريق الصحيح « حيث كان كبار الرساليين في المدينة المنورة يجتمعون مع الإمام فيجلس ويعطيهم الأوامر وتحمل إليه الأموال الكثيرة، والإمام أيضاً يبعث بتلك الأموال إلى أصحابها، أي أنه كان يقود دورة مالية في الأمة الإسلامية»^(١).

« ومرة جاء إلى المتوكل أحد الجواسيس وقال: « أنت جالس في قصرك هنا والأموال تحمل إلى علي الهادي، قال: عجيب!! من الذي يحمل الأموال إليه؟

قال: الآن ستأتي قافلة من قم ومعها أموال إلى علي الهادي.

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٦٨.

فطلب المتوكل فتح بن خاقان أكبر وزرائه وهو قائد الجيش أيضاً، وقال له: إن قافلة تأتي من طرف كذا تدخل سامراء غداً صباحاً، فأريدك أن تأخذ جيشاً وتأخذ على القافلة وترى إذا كانت في القافلة أموال محمولة إلى علي الهادي تقبضها وتأتي بها إلي.

فخرج الفتح بن خاقان إلى المهمة.

لكن مكر المتوكل لم ينجح^(١)، فعن محمد بن داود القمي ومحمد الطلحي قالوا: حملنا مالاً من خمس ونذر وهدايا وجواهر اجتمعت في قم وبلادها، وخرجنا نريد بها سيدنا أبا الحسن الهادي عليه السلام، فجاءنا رسوله في الطريق أن ارجعوا فليس هذا وقت الوصول فرجعنا إلى قم وأحرزنا ما كان عندنا، فجاءنا أمره بعد أيام أن قد أنفذنا إليكم إبلاً وعبيراً فاحملوا عليها ما عندكم، وخلوا سبيلها، قال: فحملناها وأودعناها الله فلما كان من قابل، قدمنا عليه، فقال: انظروا إلى ما حملتم إلينا فنظرنا فإذا المنايح^(٢) كما هي^(٣).

هذه الرواية تدل بوضوح أن الناس كانوا يرتبطون بالإمام عليه السلام في جميع شؤونهم وليس بالخليفة، وهناك رواية أخرى تدل على شخصية الإمام القيادية «عن محمد بن الحسن الأشتر العلوي قال كنت مع أبي علي علي باب

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٧٠.

(٢) المنايح: جمع المنيحة، الهدايا والعطايا.

(٣) البحار، ج ٥٠، ص ١٨٥، رقم ٦٢.

المتوكل وأنا صبي في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي وجعفري ونحن وقوف إذ جاء أبو الحسن فترجل الناس كلهم حتى دخل، فقال بعضهم لبعض لمن نترجل؟ لهذا الغلام وما هو بأشرفنا ولا بأكبرنا سنأ والله لا نترجلنا له فقال أبو هاشم الجعفري والله لنترجلن له صغرة إذا رأيتموه فما هو إلا أن اقبل وبصروا به حتى ترجل الناس كلهم، فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟ فقالوا له: والله ما ملكنا أنفسنا حتى نترجلنا!!^(١).

هذه الرواية تدل على أن الإمام كان شخصية قيادية، وإلا فإن الناس لا يترجلون للأفراد العاديين في المجتمع.

وكان الإمام عليه السلام بوصفه قائداً للأمة الإسلامية يقوم بواجباته القيادية ومسؤولياته الشرعية، ويمارس صلاحياته، فكان عليه السلام يخدم الناس، ويقضي حوائجهم، ويزور مرضاهم. وذات مرة «دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني علي أبي الحسن العسكري، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه. فقال: يا أبا عمرو -وكان وكيله- ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار»^(٢).

(١) في رحاب أئمة أهل البيت: ج ٤ ص ١٧٦.

(٢) أئمتنا، ص ٢٢٢.

و«قال أبو هاشم الجعفري: أصابني ضيقة شديدة، فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد فأذن لي، فلما جلست قال: يا أبا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد أن تؤدي شكرها؟؟»

قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدر ما أقول له!

فابتدأ عليه السلام فقال: رزقك الإيمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل.

يا أبا هاشم إنما ابتدأتك بهذا لأنني ظننت أنك تريد أن تشكو إليّ من فعل بك هذا، وقد أمرت لك بمائة دينار فخذها»^(١).

وفي رواية ثالثة: «قال إسحاق الجلاب: اشتريت لأبي الحسن غنماً كثيرة، فدعاني فأدخلني من اصطبل داره إلى موضع واسع لا أعرفه، فجعلت أفرق تلك الغنم فيمن أمرني به»^(٢).

هذه الروايات تدل على أن الإمام عليه السلام كان يعمل من أجل خدمة الجماهير، وقضاء حوائجهم، والقائد الحقيقي هو الذي يقدم خدمات للجماهير، لا الذي يقدم

(١) البحار، ج ٥٠، ص ١٢٩، رقم ٧.

(٢) أئمتنا: ص ٢٢٣.

٣٢.....الإمام علي الهادي عليه السلام

قرارات للجماهير وحسب، ولذلك فالناس ارتبطت بالإمام الهادي عليه السلام، كقائد وموجه لها، لذلك فإن أهم عمل في حياة الإمام هو قيادة الأمة وتوجيهها.

العمل الثاني:

تعميق الفكر الإسلامي

توجيه الأمة ثقافياً من أولويات عمل الأئمة عليهم السلام وقد كان للأئمة عليهم السلام دور أساسي في توجيه الأمة نحو الثقافة الرسالية والبصائر القرآنية.

وقد كان الإمام الهادي عليه السلام يوجه الأمة نحو الثقافة القرآنية، ويعمق هذه الثقافة في نفوس الناس، ويفضح ثقافة الطاغوت، وثقافة التخلف والجهل، والتي كان لها دور رئيس في تخلف الأمة حضارياً.

« في أيام الإمام الهادي عليه السلام كانت هنالك نزاعات فكرية وعقائدية حادة، ومن جملة هذه النزاعات النزاع المشهور حول خلق القرآن، ومعرفة أهمية هذه المسألة لا نتوصل إليها إلا عندما نقارنها بمسألة حديثة، كأزمة لبنان مثلاً، فلو سأل شخص بعد ألف أو ألفين سنة من الآن رجلاً آخر، ما سبب أزمة لبنان؟

فسوف يكون جوابه: الأحداث نشأت من أنهم اختلفوا وبعضهم قتل بعضاً وانتهى الأمر.

لكن اليوم ونحن نعيش تلك الأزمة، فنحن نعرف ضخامة الأحداث وما هي أهميتها وارتباطاتها وعواملها؟؟

كذلك قصة خلق القرآن الآن تذكر كقصة عابرة، لكن في وقتها كانت قضية أساسية ومثلما توجد الآن في العالم الإسلامي تيارات شرقية وغربية وإسلامية متنوعة ومختلفة، كذلك في العهد الإسلامي السابق كانت تشق الأمة الإسلامية حركتان فكريتان:

١- حركة تسمى بالاعتزال.

٢- حركة تسمى بالأشاعرة.

حركة الأشاعرة وحركة المعتزلة لم تكونا فقط مجرد مدرستين فكريتين، بل كانت لهما امتدادهما الاجتماعي، وكان لكل واحدة أتباعها بين جماهير المسلمين، وكانت كثيراً ما تقع بينهم الخلافات. وكانت السلطات تغذي هذه الخلافات، وتزيد من حدتها من أجل تحقيق مصالحها اللا مشروعة، فقبل المأمون العباسي كانت السلطة العباسية تدعو إلى حركة الأشعرية وإلى الأشاعرة، وكان جلاوزتها يأخذون كل معتزلي ويتهمونونه بالزندقة ويقتلونونه.

ولما جاء المأمون العباسي إلى الحكم اتجه إلى الاعتزال،

والاعتزال كان حركة المثقفين، حركة الطبقة الواعية في ذلك اليوم، وقد ظلت السلطة في عهد المأمون العباسي والمعتصم العباسي والواثق العباسي تؤيد الاعتزال، ولما جاء المتوكل صار مع الأشاعرة»^(١).

ولقد كان للإمام الهادي عليه السلام دور رئيس في فضح هذه الثقافات المنحرفة، وتوضيح الثقافة القرآنية، وكان يوضح للجماهير البصائر القرآنية أمام كل الانحرافات الفكرية والثقافية وفي مختلف القضايا الحياتية، من أجل أن تكون الجماهير على رؤية وبصيرة من أمرها، ومن أهم هذه المواقف للإمام نذكر:

١- كتابه عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد يحدد فيها الرؤية الرسالية تجاه قضية خلق القرآن وقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله عز وجل وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»^(٢).

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٧٧.

(٢) التوحيد، ص ٢٢٤، رقم ٤.

٢- ومن كتاب له عليه السلام إلى أحمد بن إسحاق جواباً عن كتاب كتبه إليه يسأله عن الرؤية وما فيه الناس: «لا يجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء بين الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ما ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان في ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات»^(١).

٣- ومن كتاب له عليه السلام في جواب لمن سأله عن التوحيد:

«لم يزل الله موجوداً ثم كون ما أراد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، تاهت أوهام المتوهمين، وقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلّت أقاويل المبطلين، عن الدرك لعجيب شأنه، أو الوقوع بالبلوغ على علو مكانه، فهو بالموضع الذي لا يتناهى، وبالمكان الذي لم يقع عليه فيه عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات هيهات»^(٢).

٤- أما ما كان من دفعه للباطل عليه السلام، بعد اشتباه المسألة والتردد فيما هو الحق عند البعض، فمنه ما تكلم به عليه السلام مع فتح بن يزيد الجرجاني، لإزالة بعض الشبهات

(١) التوحيد، ص ١٠٩، رقم ٧.

(٢) أئمتنا، ص ٢٢٧.

الواردة في ذهنه وما رد به على رجل عباسي حين عز عليه تقدم الإمام عليه، مع اعتقاده أنه أشرف منه نسباً!^(١)

«وأما المتوكل واستفتاءاته وتحدياته للإمام عليه السلام فهو كثير، فإن المتوكل في الوقت الذي يعوزه الفقه في عدد من الوقائع، يضطر إلى الرجوع إلى الإمام لتذليل ما يواجهه من عقبات، ولكنه كان يمزج استفتاءاته بالتحدي، فيسأل عن الحكمة أو الدليل بقصد الإحراج لا بقصد الفهم الصحيح، وكان الإمام يجيبه بالشكل الذي يراه مناسباً مع فهمه وفهم الحاضرين، وموافقاً للمصلحة مع كونه مثبتاً للحق في نفس الوقت.

ومن تحدي المتوكل للإمام.. أنه قال ذات مرة لابن السكيت: اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي! فيسأله ابن السكيت عن بعض ما يراه صعباً ومشكلاً، فيخرج الإمام ظافراً منتصراً، ويجيب بما هو الحق الصريح وإذا ينتهي الكلام مع ابن السكيت يتدبر يحيى بن أكثم، فيقول: ما لابن السكيت، ومناظرته، وإنما هو صاحب نحو وشعر ولغة، ورفع قرطاساً فيه مسائل، فأملى علي بن محمد عليه السلام على ابن السكيت جوابها.

انظر إلى تعليق ابن أكثم حين قرأ جواب الإمام، تجده قد تخوف من عمق أجوبته ودقة علمه، من أن يشارك في

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٣٢.

الدعاية له وتأکید صدق قضيته، وبالنهاية توسيع وتقوية قواعده الشعبية؛ قال يحيى بن أكثم للمتوكل: «ما تحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، وأنه لا يرد عليه بشيء بعدها إلا دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة»^(١).

٥- (أجوبته عليه السلام، ليحيى بن أكثم عن مسائله) قال موسى بن محمد بن الرضا: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة، فسألني عن مسائل، فجئت إلى أخي علي بن محمد عليه السلام فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت له: جعلت فداك إن ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها، فضحك عليه السلام ثم قال: فهل أفتيته؟ قلت: لا، لم أعرفها، قال عليه السلام: وما هي؟

س١/ قول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٢) إن السائل هو نبي الله سليمان، والمسؤول آصف، فهل كان سليمان وهو نبي محتاجاً إلى علم آصف؟

ج١/ انه لم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحججة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لئلا يختلف عليه

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٣٣.

(٢) سورة النمل، الآية ٤٠.

في إمامته وولايته من بعده كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف نبوته وإمامته من بعده ولتأكيد الحجّة على الخلق.

س٢ / قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾^(١) كيف سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟

ج٢ / وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده ليوسف فكان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام كما أن السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكرا لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢).

س٣ / قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾^(٣)، من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي ﷺ فقد شك، وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذا أنزل الكتاب؟

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠١.

(٣) سورة يونس، الآية ٩٤.

ج ٣/ إن المخاطب به رسول الله ﷺ ولم يكن في شك مما انزل إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟ إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشرب والمشى في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيه: «فاسأل الذين يقرؤون الكتاب» بمحضر من الجهلة، هل بعث الله رسولا قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة. وإنما قال: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾^(١) ولم يكن شك ولكن للنصفة كما قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢) ولو قال: تعالوا فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف من نفسه.

س ٤/ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٣) ما هذه الأجر وأين هي؟

ج ٤/ فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر

(١) سورة يونس، الآية ٩٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٣) سورة لقمان، الآية ٢٧.

مداد يمده سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً كما انفجرت في الطوفان، ما نفذت قبل أن تنفذ كلمات الله وهي -أي البحر- عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين طبرية، وحمّة ماسيدان تدعى لسان، وحمّة إفريقية تدعى سيلان، وعين باحوران، ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا.

س ٥/ قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(١) فاشتهدت نفس آدم ﷺ أكل البر فأكل، فكيف عوقب؟

ج ٥/ وأما الجنة فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأباح الله ذلك كله لآدم ﷺ والشجرة التي نهى الله عنها آدم ﷺ وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظر إلى من فضل الله عليه وإلى خلائقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً.

س ٦/ وعن قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾^(٢) إذا كان يزوج الله عباده الذكران فكيف عاقب قوما فعلوا ذلك؟

ج ٦/ معاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على

(١) سورة الزخرف، الآية ٧١.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥٠.

نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم ومن يفعل ذلك يلحق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إن لم يتب.

س٧/ كيف شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله:
﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(١)؟

ج٧/ أما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضا فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة، لان الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

س٨/ حكم علي عليه السلام في أمر الخنثى أن ينظر إلى مبالها فان كان بولها بول الرجل فهي رجل، وإن كان بول الأنثى فهي أنثى، فمن ذا ينظر إليها فإن كان الناظر إليها رجلاً فعسى أن تكون امرأة، وأن كان الناظر إليها امرأة فعسى أن تكون رجلاً، وهذا مالا يجلب وما هو ميراثها؟

ج٨/ أما قول علي عليه السلام في الخنثى فهو كما قال: ينظر قوم إليه عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة وينظرون في المرايا فيرون الشيء فيحكمون عليه.

(١) سورة الطلاق، الآية ٢.

س٩/ رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها، فدخلت بين الغنم كيف تذبح وهل يجوز أكلها أم لا؟

ج٩/ أما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما، فإذا وقع السهم على أحد النصفين فقد نجا النصف الآخر، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما.

س١٠/ صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة مع أنها من صلاة النهار وإنما يجهر في صلاة الليل؟

ج١٠/ أما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة، لأن النبي ﷺ كان يجلس^(١) بها فقراءتها من الليل.

س١١/ أن علياً عليه السلام قال لابن جرموز: بشر قاتل ابن صفية^(٢) بالنار فلم يقتله وهو إمام؟

ج١١/ أما قول علي عليه السلام: بشر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله ﷺ وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، لأنه علم أنه يقتل في فتنة النهروان.

(١) يجلس بها: أي يصلي بها في الغلس، وهو الظلمة في آخر الليل.

(٢) ابن صفية: هو الزبير بن العوام قتله ابن جرموز يوم الجمل.

س١٢ / أخبرني عن علي عليه السلام لم قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجاز^(١) على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً ولم يجز علي جريح ولم يأمر بذلك، وقال: من دخل داره فهو آمن، لم فعل ذلك؟ فان كان الحكم الأول صواباً فالثاني خطأ.

ج١١ / أما قولك: إن علياً عليه السلام قتل أهل الصفين مقبلين ومدبرين وأجاز علي جريحهم، وإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجز علي جريحهم، وكل من ألقى سلاحه آمنه، ومن دخل داره آمنه، فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين، فقد رضوا بالكف عنهم، فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم، إذ لم يطلبوا عليه أعواناً، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السلاح والدرع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء، ويهيئ لهم الإنزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسوا حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم، فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم، فمن رغب عرض علي السيف.

س١٣ / أخبرني عن رجل أقر باللواط على نفسه

(١) أجاز: أي أجهز عليهم.

أيحد، أم يدرأ عنه الحد؟

ج ١٣ / أما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بينة وإنما تطوع بالإقرار من نفسه وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله، أما سمعت قول الله: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(١) فبدأ باليمن قبل المنع.

ثم قال الإمام الهادي عليه السلام: قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك^(٢).

وهكذا أجاب الإمام الهادي عليه السلام بصورة وافية وشفافية على هذه الأسئلة الغامضة مما أبهر يحيى بن أكثم، وجعله ينصح المتوكل بعدم تقديم أية أسئلة أخرى إلى الإمام الهادي عليه السلام؛ لأن ذلك سيظهر العلم الغزير للإمام عليه السلام مما يقوّي الشيعة!!

فما يتمتع به الإمام الهادي عليه السلام من طاقة علمية هائلة، وإبداع فكري متميز، وغزارة في العلم، وموسوعية في المعرفة، يجعله قادراً على إفحام الخصوم مهما كان لديهم من علم ومعرفة.

(١) سورة ص: ٣٩.

(٢) تحف العقول، ص ٣٥٢. وقد رتبنا النص على شكل سؤال وجواب تسهيلاً لفهم القارئ.

وما ذلك بغريب على الإمام الهادي عليه السلام، إذ إنه الوارث لعلوم آبائه الطاهرين الذين نشروا العلم والمعرفة، ووضّحوا معالم الفكر الإسلامي الأصيل.

٦- رسالته لأهل الأهواز في الرد على أهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، وأوردها بتمامها الحسن بن علي بن شعبة الحراني في تحف العقول. وهذا نص الرسالة بتمامها:

«من علي بن محمد، سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فإنه ورد عليّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم، وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله.

اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاء به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جل وعز لا تخلو من معنيين: إما حق فيتبع وإما باطل فيجتنب. وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون، مهتدون وذلك بقول رسول الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. والقرآن حق لا اختلاف

بينهم في تنزيهه وتصديقه؛ فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن [هي] جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة.

فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله ﷺ ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم، حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله جل وعز: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢) وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنه تصدق بخاتمه وهو راعع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه. فوجدنا رسول الله ﷺ قد أتى بقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وبقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ووجدناه يقول: «علي يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي».

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) سورة المائدة: ٥٦.

فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقة ووافقت القرآن وافقها. ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله ﷺ عن الصادقين عليهم السلام ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد. وذلك أن أقاويل آل رسول الله ﷺ متصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(١)، ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله ﷺ: «من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه» وكذلك قوله ﷺ: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله». ومثل قوله ﷺ في بني وليعة^(٢): «لأبعثن إليهم رجلاً كنفي يوجب الله ورسوله ويحب الله ورسوله قم يا علي فسر إليهم». وقوله ﷺ يوم خيبر: «لأبعثن إليهم رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه». ففضى رسول الله ﷺ بالفتح قبل التوجيه

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٢) بنو وليعة - كسفينة - : حى من كندة.

فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله ﷺ . فلما كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة^(١) وسماه كرارا غير فرار، فسماه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أن الله ورسوله يجبانه.

وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين وبالله العون والقوة وعليه نتوكل في جميع أمورنا. فإننا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام: « لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحة الخلقة وتخلية السرب^(٢) والمهلة في الوقت والزاد مثل الراحلة والسبب المهيج للفاعل على فعله»، فهذه خمسة أشياء جمع به الصادق عليه السلام جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأن الرسول ﷺ لا يعدون شيئاً من قوله وأقاولهم حدود القرآن، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان

(١) في بعض النسخ [بهذه الصفة] .

(٢) السرب - بالفتح - : الطريق والصدر . - وبالكسر - أيضاً: الطريق والقلب . - وبالتحريك - : الماء السائل . وسيأتي بيان هذه الخمسة عن الإمام عليه السلام بعد شرح الجبر والتفويض وانهما خلاف العدل والعقل

الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب. ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا، وخبر عنه أيضاً موافق لهذا، أن الصادق عليه السلام سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك. فقيل له: فهل فوض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعز وأقهر لهم من ذلك. وروي عنه أنه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك. ورجل يزعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك. ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ، فأخبر عليه السلام أن من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق. فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ، وأن الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما.

ثم قال عليه السلام: واضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة. فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها. ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله

في حكمه وكذبه ورد عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١) وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣) مع آي كثيرة في ذكر هذا. فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله و قد ظلمه في عقوبته. ومن ظلم الله فقد كذب كتابه. ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة. ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ولا يملك عرضاً من عرض الدنيا ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور وأوعد عبده إن لم يأت به بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك، فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء وليس يملك العبد ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه من ذلك

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٢.

(٣) سورة يونس، الآية ٤٤.

وعاقبه عليه. أليس يجب في عدله و حكمه أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته؟ فإن عاقبه عاقبه ظلماً متعدياً عليه مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته وإن لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعدته بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة. تعالى عما يقولون علواً كبيراً، فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أجبر [ه] العقوبة. ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله إن الله يدفع عنهم العقوبة. ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده حيث يقول: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١). وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣).

مع آي كثيرة في هذا الفن ممن كذب وعيد الله ويلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر وهو ممن قال الله: ﴿أَفْتُمُونَنِي﴾

(١) سورة النساء، الآية ١٠.

(٢) سورة النساء، الآية ١٠.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٦.

بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ بل نقول: إن الله جل وعز جازى العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها، فأمرهم ونهاهم بذلك ونطق كتابه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢) وقال جل ذكره: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (٣) وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمِ﴾ (٤) فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به. ومثلها في القرآن كثير، اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب وبالله التوفيق.

وأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وأخطأ (٥) من دان به وتقلده فهو قول القائل: إن الله جل ذكره فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم. وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته. وإلى هذا ذهب الأئمة المهتدية

(١) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

(٤) سورة غافر، الآية ١٧.

(٥) في بعض النسخ [وخطأ].

من عترة الرسول ﷺ، فانهم قالوا: لو فوض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا منه الثواب^(١) ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً. وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بأرائهم ضرورة كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن، أو يكون عز وجل عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته كرهوا أو أحبوا ففوض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم، إذ عجز عن تعبدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ويقف عند أمره ونهيه، وادعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه ووعدته على اتباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكة ولم يقف عند أمره ونهيه، فأمر أمره أو أي نهى نهاه عنه لم يأت على إرادة المولى بل كان العبد يتبع إرادة نفسه واتباع هواه ولا يطيق المولى أن يرده إلى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته، ففوض اختيار أمره ونهيه إليه ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك وبعثه في بعض حوائجه وسمى له الحاجة فخالف على مولاه وقصد لإرادة نفسه واتباع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به،

(١) في بعض النسخ [به الثواب].

فقال له: لم أتيتني بخلاف ما أمرتك؟ فقال العبد: اتكلت على تفويضك الأمر إلي فاتبعت هواي وإرادتي، لأن المفوض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض

أو ليس يجب على هذا السبب إما أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرفه الثواب والعقاب عليهما. وحذره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة^(١) لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، فيكون عدله وإنصافه شاملاً له وحجته واضحة عليه للإعذار والإنذار. فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه أو يكون عاجزاً غير قادر ففوض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى، عاجز عن عقوبته ورده إلى اتباع أمره. وفي إثبات العجز نفي القدرة والتأله وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب إذ يقول: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(٢)، وقوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)

(١) في بعض النسخ [من الطاعة] .

(٢) سورة الزمر، الآية ٧ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٢ .

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

وقوله: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾^(١)
 وقوله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(٢) وقوله:
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
 وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾^(٣). فمن زعم أن الله تعالى فوض أمره
 ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز وأوجب عليه قبول
 كل ما عملوا من خير وشر وأبطل أمر الله ونهيه ووعدته
 ووعيده، لعله ما زعم أن الله فوضها إليه لان المفوض إليه
 يعمل بمشيئته، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود
 عليه ولا محذور، فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد
 أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه وهو من
 أهل هذه الآية ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا
 اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٤)، تعالى الله عما يدين به أهل
 التفويض علواً كبيراً.

لكن نقول: إن الله عز وجل خلق الخلق بقدرته،
 وملكهم استطاعة تعبدتهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد^(٥)

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٥) في الاحتجاج [وملكهم استطاعة ما تعبدتهم به من الأمر والنهي].

فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم. ونهاهم عن معصيته وذب من عصاه وعاقبه عليها والله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار وإليه الصفوة يصطفي من عباده من يشاء لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده، اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وبعثه برسالاته إلى خلقه، فقال من قال من كفار قومه حسداً واستكباراً: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١) يعني بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول:

﴿أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢) ولذلك اختار من الأمور ما أحب ونهى عما كره، فمن أطاعه أثابه. ومن عصاه عاقبه ولو فوض اختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله.

(١) سورة الزخرف، الآية ٣١.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٣٢.

فلما أدب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١)، فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه، فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضل وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه وأنزل به عقابه.

وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قل يا عباية، قال وما أقول؟ قال عليه السلام: إن قلت: إنك تملكها مع الله قتلتك وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام:

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله، قال: فوثب عباية فقبل يديه ورجليه.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله، قال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال عليه السلام: بالتمييز الذي حولني والعقل الذي دلني، قال: أفمجبول أنت عليه؟ قال: لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ولا مذموماً على إساءة وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء فعلمت أن الله قائم باق وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحديث الزائل، قال نجدة: أجدك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين، قال أصبحت مخيراً، فإن أتيت السيئة [ب] مكان الحسنة فأنا المعاقب عليها.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر؟ قال عليه السلام: نعم يا شيخ، ما علوتم تلعة^(١) ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله، فقال الشيخ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: مه يا شيخ، فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا

(١) التلعة: ما علا من الأرض.

إليه مضطرين، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ولسقط الوعد والوعيد ولما ألزمت الأشياء أهلها^(١) على الحقائق، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشيطان، إن الله جل وعز أمر تخييراً ونهى تحذيراً ولم يطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فقام الشيخ فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته
يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً
جزاك ربك عنا فيه رضواناً^(٢)
فليس معذرة في فعل فاحشة
قد كنت راكبها ظلماً وعصياناً^(٣)

فقد دل أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب ونعوذ بالله من الضلالة

(١) في بعض النسخ [الأسماء أهلها].

(٢) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٥٦ وفيه [جزاك ربك بالإحسان إحسان].

(٣) في بعض النسخ [عندي لراكبها ظلماً وعصياناً].

والكفر، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم.

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً ومملك مالا كثيراً أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملكه من ماله بعض ما أحب ووقفه^(١) على أمور عرفها العبد فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ونهاه عن أسباب لم يجبهها وتقدم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرف في أي الوجهين، فصرف المال^(٢) أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه. وأسكنه دار اختبار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار وأن له دارا غيرها وهو مخرجه إليها، فيها ثواب وعقاب دائمان، فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود. وقد حد المولى في ذلك حدا معروفا وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى، فإذا بلغ الحد استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكا للمال والعبد في الأوقات

(١) في بعض النسخ [ووافقته].

(٢) في بعض النسخ [فصرف الآن].

كلها إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلى أن يستتم سكناه فيها فوفى له لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة، أو ليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفى له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة. وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذره إياها، غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يوصف القادر القاهر. وأما المولى فهو الله جل وعز، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحتته^(١) إظهار [ه] الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم، والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله جل وعز، واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس. وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة، وأما الدار الفانية فهي الدنيا. وأما الدار الأخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد. وشرحها في الخمسة

(١) أي اختباره وامتحانه.

الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام^(١) أنها جمعت جوامع الفضل وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله.

تفسير صحة الخلقة

أما قول الصادق عليه السلام فإن معناه كمال الخلق للإنسان وكمال الحواس وثبات العقل والتمييز وإطلاق اللسان بالنطق، وذلك قول الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢) فقد أخبر عز وجل عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطيور وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتمييز العقل والنطق، وذلك قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣) وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٤) ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾^(٥) ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٦) وفي آيات كثيرة فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله

(١) أي صحة الخلقة. وتخلية السرب. والمهلة في الوقت. والزاد. والسبب المهيج.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٣) سورة التين، الآية ٤.

(٤) سورة الانفطار، الآية ٦.

(٥) سورة الانفطار، الآية ٧.

(٦) سورة الانفطار، الآية ٨.

على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان، وذلك أن كل ذي حركة على بساط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه، مستكمل في ذاته، ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس، فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار أمرا ناهيا وغيره مسخر له كما قال الله: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾^(١). وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٢) وقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفَأٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾^(٤) ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥) فمن

(١) سورة الحج، الآية ٣٧.

(٢) سورة النحل، الآية ١٤. وقوله: ﴿لتأكلوا﴾ أي لتصطادوا منه السمك وتأكلوا لحمه. وقوله: ﴿حلية تلبسونها﴾ أي اللؤلؤ والمرجان أنتم ونسأؤكم تزينون بها.

(٣) سورة النحل، الآية ٥.

(٤) سورة النحل، الآية ٦.

(٥) سورة النحل، الآية ٧. والدفء: السخانة وهي ما يستدفئ به من اللباس المعمول من الصوف والوبر فيقى البرد. وقوله: ﴿ولكم فيها جمال﴾ أي لكم فيها مع ما تقدم ذكره تجمل وتزين عند الناظرين إليها حين تريحون وحين تسرحون أي في هذين الوقتين وقت ردها من مراعيها ووقت تسريحها إليها فالرواح: رجوعها بالعشي من المراعى، والسراح: مسيرها إلى مراعيها بالغداة.

أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾^(١) وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا﴾^(٢) وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(٣)، وفي آيات كثيرة. فإذا سلب من العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ﴾^(٤) فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج، قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٥). وقوله في الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٦) كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به ونهاهم عن مثل ذلك. فهذه صحة الخلقة.

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٤) سورة النور، الآية ٦١.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٦) القصص، الآية ٣.

وأما قوله: تخلية السرب^(١). فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله فيمن استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولا يهتدي سبيلاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(٢) فأخبر أن المستضعف لم يخل سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان.

وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذي يتمتع الإنسان من حد ما تجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله. فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو علي خير، وذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣) وإن كان لم يعمل بكمال شرايعه لعله ما لم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره. وقد حذر علي البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾^(٤) فلم يجعل عليهن حرجاً في

(١) السرب - بالفتح والسكون -: الطريق، يقال: «فلان مخلى السرب» أي غير مضيق عليه.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٨.

(٣) سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٤) سورة النور، الآية ٣١.

إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام.

وأما قوله: الزاد فمعناه الجدة^(١) والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به، وذلك قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق وألزم الحجة كل من أمكنته البلغة والراحلة للحج والجهاد وأشباه ذلك، وكذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْضِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٣) فأمر بأعفائهم ولم يكلفهم الإعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون.

وأما قوله في السبب المهيج، فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال وحاستها القلب^(٤) فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(٥).

(١) الجدة - بالكسر - : الغنى والقدرة.

(٢) سورة التوبة، الآية ٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٣.

(٤) في بعض النسخ [وحاسنه العقل]. وحاسنه أي غالبه في الحسن. أو لاطفه وعامله بالحسنى.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٦٧.

ثم أنزل علي نبيه ﷺ توبيخاً للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله دعتة النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل، وإذا لم يعتقد القول لم تتبين حقيقته، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعدة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢) وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾^(٣) فدل القرآن وأخبار الرسول ﷺ أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء.

فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين وهما الجبر والتفويض. فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كاملاً لما أمر الله عز وجل به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنها^(٤) مطروحاً بحسب ذلك.

فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة. ومن ذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾

(١) سورة الصف، الآية ٢.

(٢) سورة النحل، الآية ١٠٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٢٥.

(٤) كذا. والظاهر [عنه].

وَبَلُّوْا أَخْبَارَكُمْ^(١) وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٣) وقال في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾^(٤) وقال في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥) وقول موسى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(٦). أي اختبارك. فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض.

وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^(٧) وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾^(٨) وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾^(٩)،

(١) سورة محمد، الآية ٣١. أي لنعاملكم معاملة المختبر، وذلك بأن نأمركم بالجهاد حتى نعلم من امتثل الأمر بالجهاد والصبر على دينه ومشاق ما كلف به. وقوله: ﴿ونبلو أخباركم﴾ أي نظهرها ونكشفها امتحانا لكم ليظهر للناس من أطاع ما أمره الله به ومن عصى ومن لم يمتثل.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٢.

(٤) سورة ص، الآية ٣٤.

(٥) سورة طه، الآية ٨٥.

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٥٥.

(٧) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(٨) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٩) سورة القلم، الآية ١٧.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾^(٣) وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة. فهي إثبات الاختبار والبلوى: إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثا ولا أهملهم سدى ولا أظهر حكمته لعبا وبذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾^(٤).

فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم؟ قلنا: بلى، قد علم ما يكون منهم قبل كونه وذلك قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥) وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾^(٦) وقوله:

(١) سورة الملك، الآية ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٣) سورة محمد، الآية ٤. وقوله: ﴿لَانْتَصَرَ﴾ أي لانتقم منهم باستيصال ولكن يريد أن يبلوكم أي ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصي.

(٤) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٢٨.

(٦) سورة طه، الآية ١٣٤.

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(١) وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٢) فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض. وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول ﷺ.

فإن قالوا: ما الحجة في قول الله: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات كلها على معنيين: أما أحدهما فإخبار عن قدرته أي إنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب، والمعنى الآخر أن الهداية منه تعريفه كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي عرفناهم ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٣) فلو أجبرهم على الهدى لم يقدرُوا أن يضلوا، وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي امرنا بالأخذ بها، من ذلك قوله: ﴿مَنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤) وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٣) سورة فصلت، الآية ١٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧.

الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿١﴾ أَي أَحْكَمَهُ وَأَشْرَحَهُ ﴿أَوْلَيْكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوْلَيْكَ هُمْ أَوْلُوا الْأَبَابِ﴾ ﴿٢﴾.

وفقنا الله وإياكم إلى القول والعمل لما يجب ويرضى،
وجنبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله، والحمد لله كثيراً كما
هو أهله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين، وحسبنا الله
ونعم الوكيل» ﴿٣﴾.

لقد أوضح الإمام الهادي عليه السلام في هذه الرسالة المهمة
فساد نظرية الجبر وكذلك نظرية التفويض، إذ إن «القائلين
بالجبر (ويقال لهم الجبرية أو المجبرة) هم الذين ينسبون أفعالهم
إلى الله تعالى، ويقولون: ليس لنا صنع. أي لسنا مخيرين في
أفعالنا التي نفعلها، بل نحن مجبرون بإرادته ومشيئته، فإذا شاء
الله أن نصلي صلينا، وإذا شاء أن نشرب الخمر شربناها.

واستدلوا - على هذا الاعتقاد الباطل - بآيات من القرآن،
وتأولوها حسب أهوائهم وآرائهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا
تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿٤﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ﴿٥﴾ وغيرها من الآيات التي معانيها

(١) سورة الزمر، الآية ١٧ - ١٨.

(٢) سورة الزمر، الآية ١٨.

(٣) تحف العقول، ص ٣٣٨.

(٤) سورة التكويد، الآية ٢٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

وتأويلها على خلاف ما اعتقده هؤلاء، وهذه العقيدة الفاسدة تنسب إلى الأشاعرة.

ومن الواضح: إن المعتنق لهذه العقيدة يبيح لنفسه كل جريمة ومعصية، من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات.

يشرب الخمر، ويزني، ويسرق ثم يقول: شاء الله أن أسرق فسرت، وشاء الله أن أزني فزيت، وشاء الله أن لا أصلي فما صليت. وهكذا وهلم جرا.

ومعنى ذلك أن الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) يشاء أن يسرق السارق، فيسرق بلا اختيار منه، ثم يعذبه الله تعالى يوم القيامة، أليس معنى ذلك هو إسناد الظلم إلى الله، تعالى عن ذلك؟

وأما التفويض فهو على عكس الجبر، فالمفوضة يعتقدون بأن الله سبحانه وتعالى لا صنع له ولا دخل في أفعال العباد، سوى أنه خلقهم وأقدرهم، ثم فوض إليهم أمر الأفعال، يفعلون ما يشاؤون بصورة مستقلة، ومعنى ذلك عزل الله تعالى عن كل إحاطة وتصرف في خلقه، وهذه العقيدة تنسب إلى المعتزلة.

ورسالة الإمام الهادي عليه السلام تتطرق إلى العقيدتين، وتشرح فساد كل منهما، ثم تذكر الحد الوسط وهو صحيح الحق.

كل ذلك على ضوء الدليل والحجة والبرهان^(١).

(١) الإمام الهادي من المهد إلى اللحد، ص ٤٨٥.

إن هذه الرسالة التي وردت عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام تعد من أهم ما ورد حول إبطال نظرية الجبر التي تبنتها الأشاعرة، وكذلك نظرية التفويض التي تبنتها المعتزلة. بعد ذلك تحدث الإمام الهادي عليه السلام حول نظرية أهل البيت (سلام الله عليهم) وهي نظرية (الأمر بين الأمرين) مدعمة بالأدلة الدالة على صحة هذه النظرية.

مما سبق يتضح أن الإمام الهادي عليه السلام، كان له دور أساس في تعميق الفكر الرسالي الأصيل، وتوجيه الناس نحو ثقافة القرآن؛ تلك الثقافة التي ترفض الظلم والطغيان والجمود والاستسلام، وقد قام الإمام أيضاً بتعرية الثقافات المنحرفة كنظرية الجبر ونظرية التفويض كما أوضحنا.

العمل الثالث:

تفجير الأوضاع السياسية

هل كان للإمام الهادي دور سياسي؟ وهل كان له عليه السلام علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالثورات والانتفاضات التي وقعت في عهده؟

نحيب بكل تأكيد: نعم، بل إن طرح مثل هذه الأسئلة يعتبر غريباً لأن من مسؤوليات الإمام قيادة الأمة وتوجيهها نحو الثقافة والبصيرة القرآنية، وبما إن حكم الطاغوت يتنافى كلياً مع مبدأ التوحيد، فهل من المعقول إذن أن يبتعد الإمام عن الأحداث السياسية؟ وأن يتوارى عن ساحات الصراع والجهاد في سبيل الله؟؟

إذ من المؤكد جداً تدخل الإمام في السياسة، ومن البديهي جداً محاولة الإمام تثوير الجماهير ضد الحكم الطاغوتي المتسلط على رقاب جماهير الأمة، وكان يعمل على نقض الهيكل البنائي للسلطات التي كانت تحكم آنئذٍ.

الإمام يهدد النظام الحاكم

يبدو أن الإمام الهادي عليه السلام قد وصل إلى مرحلة متقدمة من العمل السياسي في المدينة ودلينا على ذلك ما يلي:

١- موقف عبد الله بن محمد والي الخليفة في المدينة من الإمام، تقول الرواية: «كان سبب شخوص أبي الحسن عليه السلام من المدينة إلى سر من رأى أن عبد الله بن محمد كان يتولى الحرب والصلاة بمدينة الرسول ﷺ فسعى بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى»^(١). وهذا يعني إن الإمام كان له دور سياسي في المدينة، وإلا فإن والي المدينة ما كان ليكتب عن رجل عادي يعيش بين الناس، حتى أن بريجة كتب ذات مرة للمتوكل: «إن كانت لك حاجة بالحرمين فاخرج علي بن محمد منها!!»، وهذا دليل على أن الإمام الهادي قد استطاع أن يستقطب الجماهير حوله، ومن ثم هدد النظام الحاكم بالخطر، وهذا هو الذي دعا المتوكل لأن يستدعي الإمام الهادي من المدينة إلى سامراء، وإلا فإن المتوكل ما كان يهتمه فرد يعيش كأبي فرد عادي آخر في المجتمع، إلا أن الإمام كان قيادة حقيقية للجماهير، ومن هنا فإنه أصبح مسماراً في نعش الكيان الحاكم!!

٢- هناك رواية تضمنت تعليقات للإمام عليه السلام على

(١) الإرشاد: ص ٣٧٥.

بعض الحوادث السياسية الجارية في ذلك الحين، وهو عام ٢٣٢ أي قبل ذهابه إلى سامراء بعامين بالتاريخ الذي رجحناه^(١).

٣- التفاف الجماهير حول الإمام الهادي عليه السلام، تقول الرواية: «قال يحيى: فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي وقامت الدنيا على ساق»^(٢).

فهل الناس تضج لفرد عادي؟ أبداً فالتاريخ يؤكد لنا باستمرار أن العظماء هم الذين يلتف حولهم الناس، وما حدث في ١٥ خرداد عام ١٩٦٣م حينما نفى الشاه المقبور الإمام الخميني رحمه الله حيث تظاهرت الجماهير وقُتل على إثر ذلك ما يقارب الـ(١٥) ألف إنسان ليؤكد هذه الحقيقة وهي: إن الجماهير تلتف حول قيادتها الشرعية.

إذن فضجيج الناس خوفاً على الإمام الهادي عليه السلام يعني إن الإمام الهادي كان يعمل ويتحرك ويجاهد من أجل خدمة الجماهير وتحريرهم من عبودية النظام الحاكم ولذلك فالجماهير تحب إمامها وقائدها.

وقد استطاع الإمام عليه السلام أن يتغلغل في الجهاز الحاكم حينما انتقل إلى سامراء حيث الخلافة العباسية هناك، عبر

(١) تاريخ الغيبة الصغرى: ص ١١٣.

(٢) في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٤، ص ١٧٦.

تكوين (جهاز مخبرات) - بالمصطلح الحديث- يسترق المعلومات من داخل القصر! وهذا ما سنشرحه بشيء من التفصيل في الفصل القادم.

وقد كان الإمام عليه السلام، وهو في سامراء تحت مراقبة القصر الحاكم يحرك الخيوط والخطوط ضد النظام العباسي الفاسد!!

الثورات العلوية وعلاقتها بالإمام عليه السلام،

لقد كان الأئمة عليهم السلام يقودون الثورات ضد الأمويين والعباسيين من وراء الستار بعد أن كانوا يربون الثائرين في بيوتهم وحجورهم، ثم كانوا يمدونهم بالدعاء، وينعونهم بعد مقتلهم ويدفعون الأموال إلى من بقى منهم ويلعنون قتلهم، وإنما لم يكن الإمام هو الذي يقوم بالثورة الظاهرة، لأجل تكميل المسيرة الفكرية، عقيدة وشريعة.

وأخيراً كان يظهر أمرهم عليهم السلام في معارضة السلطة، والعمل لاجتثاثها، ولذا كان الجائرون يلقون عليهم القبض، وينهبون أموالهم، ويحرقون دورهم، ويسجنونهم، وأخيراً يقتلونهم. وإلا فهل السلطات الجائرة تفعل مثل ذلك بغير المعارضين لها، المقوضين لدولها؟!

ولذا، نجد عصور الأئمة عليهم السلام مليئة بالثورات الشعبية التي كان يتزعمها أولاد الأئمة وأقربائهم وتلاميذهم وأتباعهم، ففي عهد الإمام السجاد عليه السلام، ثار التوابون وحكم المختار

وثار أهل المدينة، وفي عهد الإمام الباقر عليه السلام، قام بالثورة أخو الإمام زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، وبعد مقتله ثار ولده يحيى بن زيد، وفي عهد الإمام الصادق عليه السلام حدثت ثورة عبدالله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وبعده تفجرت ثورة محمد بن عبدالله ذي النفس الزكية من أحفاد الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك ثار أخوه إبراهيم بن عبدالله.

وفي عهد الإمام الكاظم عليه السلام، ثار الحسين بن علي شهيد فخ بجمع كبير من بني هاشم، وثار يحيى وإدريس. وفي عهد الإمام الرضا عليه السلام، ثار أخو الإمام عليه السلام، زيد، وثار محمد بن إبراهيم أبو السرايا، ومحمد الديباج ابن الإمام الصادق عليه السلام، وإبراهيم بن الإمام الكاظم عليه السلام. وفي عهد الإمام الجواد عليه السلام، ظهرت ثورة عبدالرحمن بن أحمد من أبناء عم الإمام الجواد عليه السلام، ومحمد بن القاسم من أحفاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى غيرها مما يجدها الطالب في كافة التواريخ المعنية بهذا الشأن^(١).

وفي فترة إمامة الإمام الهادي عليه السلام، التي كانت من الفترات الطويلة، كانت هناك ثورات عديدة فجرتها الحركة الرسالية، وقد بدأت بثورة محمد بن صالح بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكان من فتيان آل أبي طالب وفتاكهم وشجعانهم

(١) الموسوعة الفقهية، كتاب السياسة، ج ١٠٦، ص ٢٥٩.

وظرفائهم وشعرائهم، وكان قد ثار في (سابقة) وخرجت جموع الناس معه، وفي تلك السنة كان يجج بصورة رسمية من قبل السلطات العباسية رجل يدعى (أبو الساج) الذي ترك محمد بن صالح بن عبد الله واسمه موسى بن عبد الله وأفشى قضايا كثيرة لأنه كان خائفاً من نجاح الثورة ومن بعدها يصيبه ما يصيبه، فاقتيد محمد بن صالح خدعة إلى أبي الساج ومن ثم إلى المتوكل العباسي الذي حبسه إلى قبل مماته بسنتين.

وأيضاً ثار الحسن بن زيد ومعه محمد بن إسماعيل بن زيد في طبرستان ونواحي الديلم، فانتصر على السلطات العباسية المتواجدة هنالك، وربما كان الوحيد الذي انتصر في تلك الفترة، كما ثار محمد بن محمد بن جعفر بالري، إلا أنه لم يحقق انتصاراً فحبسه عبد الله بن ظاهر بنيشابور حتى مات.

وكان أحمد بن عيسى قد توارى عن الأنظار بعد هروبه من سجن هارون الرشيد فأمر هارون بتفتيش كل دار يتهم صاحبها بالرسالية وطلب أحمد، ذلك لأن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام توارى في بغداد وبعدها انتقل إلى أماكن عديدة، وهكذا حتى مات في تلك الأيام.

وكان ممن تورط أيضاً في الثورة والخروج عبد الله بن عيسى بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام منذ خلافة المأمون. ولم يزل عبد الله متوارياً إلى أن مات في أيام المتوكل.

فعن أحمد بن سعيد، قال: حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثنا إسماعيل بن يعقوب قال سمعت محمد بن سليمان الزينبي يقول:

«نعي عبد الله بن موسى إلى المتوكل صبح أربع عشرة ليلة من يوم مات، ونعي له أحمد بن عيسى فاغتبط بوفاتهما وسر، وكان يخافهما خوفاً شديداً ويجذر حركتهما، لما يعلمه من فضلتهما، واستنصار الشيعة الزيدية بهما وطاعتهم لهما لو أرادوا الخروج عليه فلما مات أمن واطمأن، فما لبث بعدها إلا أسبوعاً حتى قتل.

كما تقدم مسبقاً عن زيد بن علي عليه السلام، وأنه كان من أولاده الحسين ذو الدمعة والذي تربي وتفقه على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأن الحسين ذا الدمعة كان له حفيد يدعى (يحيى بن عمر بن الحسين ذو الدمعة) وهذا الأخير حكم الكوفة. والمراد هنا أن أحداث ثورة عيسى بن عمر بن الحسين ذو الدمعة كانت في خلافة المتوكل إلى خلافة المستعين العباسي حيث كان يحيى قد قام بانتفاضة في أيام المتوكل في خراسان فهزم من قبل عبد الله بن طاهر، فأمر المتوكل بتسليمه إلى عمر بن الفرغ الرخجي فسلم إليه، فكلمه بكلام فيه بعض الغلظة فرد عليه يحيى وشتمه، فشكى ذلك إلى المتوكل فأمر به فضرب درراً أو ضرب ثمانية عشر مفرعة، ثم حبسه ببغداد في المطبق، فمكث على ذلك مدة، ثم أطلق فمضى إلى بغداد فلم يزل بها حيناً حتى

قام بالثورة في الكوفة، فدعا إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، وأظهر العدل وحسن السيرة إلى أن قتل رضوان الله عليه، وكان (رضوان الله عليه) رجلاً فارساً شجاعاً، شديد البدن مجتمع القلب، بعيداً من رهق الشباب وما يعاب به مثله.

واستمر الوضع إلى استشهاد الإمام الهادي عليه السلام حيث ظهر ما يزيد على عشرين تحركاً وانتفاضة في المناطق المختلفة.

وإذا ما لاحظنا أصحاب هؤلاء الثورات من هم؟ نجد أن أكثرهم من صنع الإمام الهادي وتربيته، وهذا وجه آخر من وجوه قيادة الإمام للأمة وللحركة الرسالية^(١).

وهذا يعني أن الإمام كان له علاقة وثيقة بالثائرين، بيد أنه من غير المعقول أن يقوم الثوار العلويون بالثورة وهم الذين تربوا على يد الإمام الهادي عليه السلام من غير علمه وموافقته على ذلك، ولو لم يستشعر المتوكل العباسي الخطر من الإمام لما حبسه في السجن مدة من الزمن، ولكن الحقيقة أن الإمام كان يشكل خطراً على الحكم لأنه كان يثور الجماهير ضد النظام المستبد.

«كان الثوار العلويون، عندما يتوسمون في أنفسهم القوة والأتباع، يرون وجوب التخطيط للثورة والخروج على حكامهم المنحرفين، وكانت أغلب الثورات تدعو إلى شعار

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٨٠.

-الرضا من آل محمد- ويريدون بهذا الشعار الشخص الذي هو أفضل آل محمد، وليس في اعتقادهم غير الإمام الهادي عليه السلام.

والثوار بشعارهم هذا إنما يريدون به تكتيكاً بارعاً لإخفاء اسم الإمام عليه السلام، وعدم وضعه -في حال فشل الثورة- موضع التهمة والخرج تجاه السلطات الحاكمة، وهم يعلمون أن الإمام عليه السلام أمام سمع الدولة وبصرها، ولربما قتله بعد أن تتهمه بإثارة العصيان والتمرد ضدها»^(١).

فالثوار إذن لو لم يكونوا يثورون تحت توجيهات الإمام، لما رفعوا شعار الرضا من آل محمد، ولو كانوا كاذبين في ذلك لبين الإمام عليه السلام حقيقة كذبهم، ولوضح للأمة أنه بعيد عنهم، ولكن الواقع أن هؤلاء الثوار كانوا يثورون انطلاقاً من توجيهات الإمام وإرشاداته، ولقد قال المتوكل ذات مرة: ويحكم قد أعينني أمر ابن الرضا، ويقصد به الإمام الهادي عليه السلام، فالإمام عليه السلام كان هو الذي يقود الحركة الرسالية وإن كان بصورة غير مباشرة أحياناً، وبالتالي فإن ما قامت به الحركة الرسالية من تفجير للوضع القائم من خلال انتفاضات وثورات العلويين إنما كان من توجيهات وإرشادات الإمام عليه السلام.

(١) الأئمة الاثنا عشر: ص ٢٣٣.

الفصل الثاني

دروس وعبر من حياة الإمام الهادي عليه السلام

السرية في العمل

التنظيم في العمل

مواقف رسالية

تأملات في كلام الإمام عليه السلام

السرية في العمل

حينما تعيش الأمة أجواء الكبت والإرهاب، يلجأ العاملون في سبيل الله إلى العمل من وراء الكواليس، لضرب وتخطيم النظام من حيث لا يشعر، وأي حركة معارضة في التاريخ كانت تتخذ من العمل السري أساساً لتحركاتها وتخطيطاتها، بهدف الإطاحة بالنظام الحاكم المستبد.

وفي زمن الإمام الهادي عليه السلام كانت الأجواء غير مساعدة للعمل بصورة علنية، حيث كانت الأجواء ملبدة بسحب الإرهاب والكبت، ومن هنا فإن الإمام عليه السلام كان يعمل بصورة بالغة السرية، وقد تعرضت دار الإمام للتفتيش عدة مرات إلا أن السلطات لم تستطع أن تدين الإمام بأي تهمة نتيجة لعدم حصولها على أي مستمسك يدين الإمام عليه السلام، من ذلك تفتيشه لدار الإمام بعد وشاية البطحاني ضد الإمام، تقول الرواية: «فلما كان بعد أيام سعى البطحاني بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل، وقال: عنده أموال وسلاح، فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ

ما يجده عنده من الأموال والسلاح ويحمل إليه، قال إبراهيم بن محمد قال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن بالليل ومعي سلم فصعدت منه إلى السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة فلم أدر كيف أصل إلى الدار فنادني أبو الحسن عليه السلام من الدار يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدت عليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجاده على حصير بين يديه أو هو مقبل على القبلة فقال لي: دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً، ووجدت البدرة مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً معها. فقال لي أبو الحسن عليه السلام: دونك المصلى، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس فأخذت ذلك وصرت إليه، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرة بعث إليها فخرجت إليه فسألها عن البدرة فأخبر بعض خدام الخاصة أنها قالت: كنت نذرت في علتك أن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار، فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس ما حركه وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار، فأمر أن يضم إلى البدرة بدرة أخرى، وقال لي: احمل ذلك إلى أبي الحسن واردد عليه السيف والكيس بما فيه، فحملت ذلك إليه واستحييت منه، فقلت له يا سيدي عز عليّ دخولي دارك بغير إذنك ولكني مأمور^(١). فقال لي:

(١) الإرشاد: ص ٣٧١.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾^(١).

من هذه الرواية يمكننا أن نستنتج عدة حقائق هي:

١- إن الإمام كان يعد أصحابه للثورة، وقد قلنا سابقاً: إن الإمام كانت تصله الأموال من كل مكان حتى أن المتوكل أمر وزيره الفتح بن خاقان عندما سمع بأن الإمام ستصله أموال من قم بمراقبة الوضع عن كثب!!

٢- إن الإمام كان يواجه حالة الهجوم على بيته بحالة نفسية طبيعية جداً، وكأنه لم يعمل شيئاً!! وفي هذه الرواية نلاحظ أن الإمام يدل المهاجم على غرف بيته لتفتيشها!! وهذا يضعف المهاجم معنوياً ونفسياً فلا يدقق في التفتيش!!

٣- توجيه الإمام لعدوه ليطلع على ما عنده من أسلحة، «فقال لي أبو الحسن: دونك المصلى فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس» وبالرغم من أن امتلاك الإمام للسيف كان يعني شيئاً خطيراً بالنسبة للسلطات الحاكمة، إلا أن توجيه الإمام لسعيد على محل السيف قد أعطى السيف (شرعية حق التملك) وانه مجرد شيء عادي لا يشكل أي خطر.

٤- إن قلوب الناس كانت مع الإمام، وإلا ماذا يعني إرسال أم المتوكل للإمام بعشرة آلاف دينار؟؟؟ كما أن نفس

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

المهاجم وهو سعيد يعترف بأن الإمام هو سيده: « فحملت ذلك إليه واستحييت منه فقلت له: (يا سيدي) عزَّ عليّ دخولي دارك بغير إذنك » وهذا يعني أن الإمام كان شخصية قيادية.

٥- عدم قبول الإمام للتبرير: فعندما قال المهاجم: (ولكني مأمور!!) أجابه الإمام بآية قرآنية: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾^(١).

وهكذا يعيش بعض الناس على الثقافة التبريرية، فهم يبررون كل أعمالهم، ويعدون الجواب سلفاً تجاه أي خطأ يقومون به، لذلك فالإمام يضرب على الوتر الحساس فيقول: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ بمعنى آخر: إن مثل هذا التبرير غير مقبول وإن ذلك العمل تعدي على حقوق الآخرين، فهل يسمع أولئك الذين لا زالوا يتعاملون مع الأنظمة الطاغوتية ويتراجعون عن تبريراتهم الزائفة؟؟؟

والذي يهمنى كثيراً في هذه الرواية هو عدم اكتشاف أي مستمسك أو وثيقة تدين الإمام عليه السلام، وذلك لاتخاذ الإمام عليه السلام كافة الاحتياطات الأمنية بعين الاعتبار.

« لقد كان الإمام الهادي عليه السلام يفلح في كل مرة - يراد تفتيش بيته - بإخفاء مكامن الشك عن الدولة، بالرغم مما

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

كان يرده من الأموال والكتب وما كان يقوم به من اتصالات، وكان يستعمل أسلوباً رمزياً حينما يريد التعبير عن أمر محظور في نظر الدولة»^(١)، مثل استخدام الأساليب الرمزية أو ما يعبر عنه اليوم بـ(الشفرة) وهذا يعني أن الإمام كان يمارس تحركاته بشكل سري.

«قضى الإمام الهادي عليه السلام فترة إمامته بين المدينة وبين سامراء عاصمة المتوكل، ففي الفترة التي كان يقيم في المدينة بدأ الإمام نشاطه الذي استقطب أهل المدينة بشكل كامل، وكان الإمام يراقب في ذلك خطوة بخطوة.. فلما بلغ الأمر حد الاستقطاب الكامل أرسل أحد عناصر المخابرات رسالة إلى المتوكل.. جاء فيها ما يلي: «من بريجة إلى المتوكل.. أما بعد فإن كان لك حاجة بالحرمين فأخرج منهما علي بن محمد فإنه قد دعا الناس إلى نفسه وتبعه في ذلك خلق كثير» وعندما وصلت الرسالة مع تقارير أخرى عن نشاطات الإمام الخفية في المدينة، أشخص المتوكل الإمام الهادي إلى سامراء.

وهكذا وصل الإمام الهادي إلى عاصمة الخلافة، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله، ووضع تحت المراقبة ليل نهار، وكان منزل الإمام يتعرض لحمولات تفتيشية مباغتة، بحثاً عن المال والأسلحة، ولكن هل أوقف هذا عمل الإمام ونشاطاته؟.. كلا! لقد مارس ذلك بشكل سري، وأوصى

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٤٩.

أتباعه بتجنب الشهرة والتزام العمل السري والتقية في هذه المرحلة الحرجة.

في أحد المرات أرسل إليه أحد أصحابه يسأله عن الفطرة. مقدارها وكيف يحملها إليه؟ فكتب إليه الإمام: «الفطرة قد كثر السؤال عنها، وأنا أكره كل ما أدى إلى الشهرة فاقطعوا ذكر ذلك واقبض ممن دفعها إليك وامسك عمن لم يدفع».

نرى الإمام هاهنا يرفض الإجابة على السؤال ويؤكد على التزام التقية في هذا الأمر والوقت، وأنه يكره كل ما يؤدي إلى الشهرة وانكشاف مصادر التمويل، وبالتالي انكشاف نوعية العلاقات التي تربط الإمام بأصحابه ووكلائه. وفي سبيل ذلك نراه يستخدم مع أصحابه الأسلوب الرمزي فلا يتحدث أصحابه -فيما بينهم- عن الإمام باسمه، وإنما يضعون رمزاً متفقاً عليه بينهم، حيث يروي أحد أصحابه وهو محمد بن رجاء الأرجائي قال: «كتبت إلى الطيب أني كنت في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت لأخذه.. إلى آخر الرواية التي يذكرها الكليني في الكافي، المجلد الرابع.

فبدلاً من اسم الإمام نراه يستخدم كلمة (الطيب) تقية، وآخرون يستخدمون كلمة (العبد الصالح) أو كلمة (الشيخ) أو غير ذلك لكيلا ينكشف اسم الإمام وعلاقاته معهم.

وعندما تحاول السلطة تشويه الفكر الإسلامي بتشجيع

الغلاة والمرتزة ليرووا عن الأئمة أحاديث كاذبة تجعل الأئمة في مصاف الآلهة، نرى الإمام يعلن براءته منهم ويحاول عبر طرقه السرية الخاصة أن يتخلص من الخطرين منهم، فنجدته يخطط لاغتيال أحد كبارهم الخطرين المسمى فارس بن حاتم، حيث نصحه الإمام فلم ينتصح، وتبرأ منه فلم يرتدع، فدبر له عملية اغتيال سرية ناجحة، قضى فيها عليه، وذلك بأن أمر شخصاً يسمى (جنيداً) باغتيال ذلك الرجل المغالي وفعلاً تربص به حتى قتله. ولأن تخطيط الإمام في هذا كان سرياً، وملتزمًا للتقية لذلك لم يكشف أمام السلطة»^(١).

إذن.. فالإمام الهادي عليه السلام كان يحيط تحركاته وأعماله في ذلك الجو المكهرب بالقتل والعنف بالسرية والكتمان، وكان يتحرك بسرية وهو يعيش بالقرب من قصر الحكم في سامراء وتحت الإقامة الجبرية!!

وعندما يعيش الناس أجواء الاستبداد والدكتاتورية في أي زمان، وفي أي مكان، فعليهم بالاعتداء بالإمام الهادي عليه السلام الذي كان يعمل ولكن بسرية وكتمان من أجل نجاح ما كان يدعو إليه من أفكار ورؤى وقيم الإسلام، والعمل على تغيير الأوضاع الفاسدة إلى واقع يرتكز على مرجعية الإسلام.

(١) مفهوم التقية في الإسلام، ص ٤٤.

التنظيم في العمل

لقد قلنا سابقاً.. إن الإمام الهادي عليه السلام كان يعمل ويتحرك ضد النظام الحاكم، وكان يثور الجماهير في وجه السلطة، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كان الإمام عليه السلام يعمل بعفوية وارتجال أم بتخطيط وتنظيم؟!

والحقيقة.. إن الإمام عليه السلام كان يعمل بتنظيم دقيق جداً، حيث استطاع أن يتغلغل داخل الجهاز الحاكم، وأن يجمع المعلومات عن النظام بشكل كبير، وأن يعمل على تقويض النظام من داخله.

وقد كان المتوكل من أقوى الخلفاء العباسيين، وكان النظام آنذاك قوياً جداً، بحيث كان من العيب مواجهة نظام قوي كهذا بشكل عفوي وفوضوي، إلا أن الحركة الرسالية المنظمة بقيادة الإمام الهادي عليه السلام استطاعت أن تهز أركان النظام بالانتفاضات والثورات والاضطرابات المستمرة التي كانت تفجرها الحركة الرسالية هنا وهناك في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

«فالسُّلطات الظالمة عادة ما تأتي عبر القوة المنظمة، فلا يكفي وجود القوة لديها حتى تستطيع السيطرة بل لابد من تنظيم هذه القوة لذلك ثبت أن القوة الصغيرة إن كانت جيدة من حيث التنظيم والروحية فقد تتغلب على عدد أكبر منها بأضعاف ولكنه لا يملك التنظيم الجيد.

وهل كنا نتوقع أن يواجه الأئمة عليهم السلام وهم في دور المعارضة دولة كالدولة الأموية التي قامت على تاريخ كبير من المكر والخداع والعمل السري منذ أيام رسول الله ﷺ واعتماداً على مجموعة من التحالفات السياسية، مكنتها من السيطرة على الخلافة، بل قتل الإمام الحسين عليه السلام.

هل كنا نتوقع أن يواجه الأئمة عليهم السلام هذه الدولة وإحلال (الدولة الكريمة) مكانها، ببعض الخطب والكتابات والتوجيهات والنصائح التربوية فقط؟

الإمام علي عليه السلام يؤكد: إن القيام لإسقاط الطاغوت لابد أن يتم بنفس الخطة وبنفس التنظيم والاستراتيجية التي قام الطاغوت على أساسها مع الاختلاف في التفاصيل، لأن عوامل النجاح هي واحدة، وأسباب النصر لا تختلف لدى المؤمنين عنها لدى الكافرين في شيء إلا في بعض التفاصيل.

وكما يقول السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله: «لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال».

وكان من اللازم والأئمة يواجهون حكماً كالحكم العباسي

يقوم على حركة عريقة في التقاليد والفكر التنظيمي السري ويعرف أصحابه الكثير من الوسائل والأساليب في هذا المجال، ولهذا الحركة انتشار واسع في صفوف الجماهير، على الأقل في بدايتها وقبل أن يكشر الحكام العباسيون عن أنيابهم.

لاشك أن الأئمة وهم يفكرون في تغيير الوضع والحكم القائم عملوا على إنشاء حركة أكثر تنظيماً وأشد ترابطاً وأعمق كتماناً وسرية من الحركة العباسية لكي يستطيعوا التغلب عليها»^(١).

وحينما كان الإمام الهادي عليه السلام يقود الحركة الرسالية في عهده، لم تخرج الحركة الرسالية عن خطوطها العريضة في العمل الثوري، بل ازدادت الحركة في عهد الإمام الهادي عليه السلام قوة في العمل ودقة في التنظيم.

«إننا إذا نظرنا للتاريخ نجد أن بداية عهد الحديث عن الأئمة وارتباطاتهم لم تكن بالتوكيل كما قد عرفنا عن الإمام الهادي عليه السلام حيث كان يوكل نواباً في كل المناطق الإسلامية، فقد كان في عهد الأئمة الأوائل، إن الإمام يوثق رجلاً فيأخذ الرساليين منه الأحاديث والأموال وتعطى لأي رجل ذاهب للإمام، بينما في عهد الإمام الهادي عليه السلام، أصبح الأمر أكثر دقة وتنظيماً»^(٢).

(١) عن الجهاد والثورة في حياة أهل البيت ، ص ٦٤ .

(٢) التاريخ الإسلامي: ص ٣١٣ .

فما هي ملامح التنظيم في عمل الإمام الهادي عليه السلام؟
هذا ما سنجيب عنه من خلال الروايات.. ولنبدأ..

١- التسلسل إلى داخل الجهاز الحاكم:

لقد استطاعت الحركة الرسالية بقيادة الإمام الهادي عليه السلام أن تتغلغل داخل الجهاز الحاكم وعلى أعلى المستويات، تقول الرواية:

«روى صقر الكرخي قال: لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن الهادي عليه السلام إلى سر من رأى أحببت أن أسأل عن خبره فنظر إلي الزرافي حاجب المتوكل ثم أمرني بالدخول فلما انفض الناس! قال: اسكت!! مولاك هو الحق فلا تحتشمي فإني على مذهبك!! فحمدت الله، فقال: أتحب أن تراه؟ قلت: نعم، قال: اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده، فلما خرج قال لغلام له: خذ بيده وادخله الحجرة التي فيها العلوي المحبوس، فدخلت فإذا مولاي جالس على صدر حصير وبجذائه قبر محفور، فسلمت فرد علي السلام وأمرني بالجلوس فلما نظرت إلى القبر بكيت فقال: لا عليك لن يصلوا إلينا بشيء الآن فحمدت الله ثم قال: ودع واخرج فلا آمن عليك أن تؤخذ»^(١).

(١) المجالس السنية: ص ٦٥٣. وكذلك في البحار، ج ٥٠، ص ١٩٤، رقم ٦. مع اختلاف يسير في النص.

إن هذه الرواية تدل على عدة حقائق هي:

١- قدرة الحركة الرسالية على التغلغل داخل الجهاز الحاكم، إذ أن (الزرافي) حاجب المتوكل كان من أعضاء الحركة الرسالية.

٢- ممارسة السرية من قبل أعضاء الحركة الرسالية «قال: لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك قلت ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين - أي المتوكل!!» وأيضا نلاحظ «فلما انفضّ الناس قال: لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك..» فلم يسأله عندما كان هناك أناس جالسون.

٣- دقة التنظيم في عهد الإمام الهادي عليه السلام، حيث نلاحظ في هذه الرواية إن كلاً من (صقر الكرخي) و (الزرافي) كانا من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، إلا أن صقر الكرخي لم يكن يعرف أن (الزرافي) من أصحابه، بينما نلاحظ أن الزرافي كان قد عرف صقر الكرخي، مما يعني أن (الزرافي) كان في مستوى قيادي داخل الحركة الرسالية «قال: اسكت!! مولاك هو الحق فلا تحتشمي فإني على مذهبك!».

٤- الحفاظ على الكوادر «ثم قال: ودّع واخرج فلا آمن عليك أن تؤخذ» ولا نستبعد أن يكون صاحب البريد من أصحاب الإمام عليه السلام، إلا أن تأخير (صقر الكرخي) من الدخول وهو موجود عند الإمام قد يكون لظروف أمنية.

وحيثما نعرف أن الفتح بن خاقان وزير المتوكل كان يوالي الإمام الهادي عليه السلام نعرف عندئذٍ إلى أي مدى وصلت الحركة الرسالية من القوة والدقة والتنظيم المحكم.

«إن رجلاً مثل الفتح بن خاقان الذي كان أكبر وزير في العصر العباسي الثاني، هذا الرجل كان معروفاً انه يظهر التشيع للإمام الهادي عليه السلام.. المهم انك عندما ترى مثل هذه الطبقات توالي الإمام الهادي عليه السلام، فإنك تستطيع أن تكون فكرة عن الدور القيادي للإمام»^(١).

٢- توجيه الكوادر:

إن على رأس الهرم القيادي أن يوجه القاعدة بشكل يضمن سلامة العمل والأفراد، وهذا لا يكون إلا حينما تمتلك القيادة (جهاز معلومات) تستطيع من خلاله أن توجه الأفراد بصورة سليمة، تقول الرواية:

«عن علي بن محمد النوفلي قال: قال لي محمد بن الفرج: أن أبا الحسن عليه السلام كتب إليه، يا محمد: اجمع أمرك وخذ حذرک، قال: فأنا في جمع أمري ليس أدري ما كتب به إلي حتى ورد علي رسول حملني من مصر مقيداً وضرب علي كل ما أملك وكنت في السجن ثمان سنين، ثم ورد علي منه في السجن كتاب فيه يا محمد، لا تنزل في ناحية الجانب

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٨٤.

الغربي، فقرأت الكتاب، فقلت: يكتب إلي بهذا وأنا في السجن، إن هذا لعجيب!!، فما مكثت حتى خُلي عني والحمد لله قال: وكتب إليه محمد بن الفرّج يسأله عن ضياعه، فكتب إليه، سوف ترد عليك وما يضرك أن لا ترد عليك، فلما شخص بن الفرّج إلى العسكر كتب إليه برد ضياعه ومات قبل ذلك»^(١)، إن هذه الرواية تدلنا على الحقائق التالية:

١- توجيه (محمد بن الفرّج) نحو أخذ الاحتياطات الأمنية وإخفاء القضايا السرية (يا محمد: اجمع أمرك وخذ حذرک).

٢- معرفة الإمام عليه السلام بالأمكنة مما يعني أن الإمام كان عنده مسح ميداني للمناطق!! «يا محمد: لا تنزل في ناحية الجانب الغربي» أي غربي البلد وذلك لثلاثتهم بالرفض لأن أكثر أهل الكرخ كانوا من الشيعة، وهذا يدل على قوة الاحتياطات الأمنية التي يجب على الرساليين اتخاذها في أجواء الاستبداد والدكتاتورية.

٣- «إن الإمام أبو الحسن عليه السلام كان في سامراء، وصاحبه كان في مصر، فربما كان الإمام عنده عين توصل الأخبار مع عدم استلزام ذلك لعنصر المعجزة، كأن يكون رئيس الوزراء يتشيع للإمام ويكون عيناً له.

(١) شرح أصول الكافي، ج٧، ص٣٠، رقم ٥. وكذلك في البحار ج٥٠، ص١٤٠، رقم ٢٥ مع اختلاف يسير في النص.

وقد سبق وأن رأينا في حادثة سابقة كيف أن رئيس الوزراء وهو الفتح بن خاقان يقول له المتوكل: اذهب وخذ المال الذي يأتيك من الطريق الفلاني، فيذهب هذا ويخبر الإمام بالأمر.

٤- وهي الأهم، ترى أن الرجل في السجن والإمام يكتب له رسالة، كيف يوصل له الرسالة، ويعطيه التعليمات؟ إن هذا يدلنا بوضوح على طبيعة أعمال وأساليب الأئمة عليه السلام في داخل الأمة الإسلامية، فلم يكونوا يجلسون في زوايا بيوتهم بعيدين عن الأحداث.

٥- وللقضية نهاية وهي: أن الإمام عليه السلام قال له: «سيرد عليك أموالك، وما يضررك ألا ترد عليك»، فالإنسان ما دام عنده هدف أسمى في حياته فما يهمه من أمر المال وسائر متاع الدنيا الزائل، أليست هذه أشياء غير مهمة بالنسبة له؟!^(١).

٦- يجب على المؤمن أن ينفذ أوامر القيادة المعصومة فوراً حتى ولو لم يعرف الهدف من هذه الأوامر، فالكادر ليس دائماً يعرف الهدف من الإرشاد القيادي، وهذا ما نلاحظه في قصة (محمد بن الفرغ) حيث لم ينفذ أوامر القيادة لأنه لم يعرف الهدف من الأمر!! «قال: فأنا في جمع أمري ليس أدري ما كتب به إلي حتى ورد علي رسول حملني من مصر

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٩٥.

مقيداً وضرب على كل ما أملك وكنت في السجن ثمان سنين» فلو نفذ (محمد بن الفرج) أوامر الإمام عليّ عليه السلام، لما وجدت السلطة عنده مستمسكات تدينه، ولما مكث في السجن ثمان سنوات.

وأخيراً - عزيزي القارئ - لعلك اكتشفت بعضاً من ملامح العمل السري والتنظيمي في عمل الإمام الهادي عليه السلام في ظل أجواء الاستبداد والدكتاتورية وانعدام الحريات العامة.

فهل نستفيد من هذه الدروس ونجعلها بمثابة المصباح الذي ينير لنا الطريق في العمل الإسلامي إذا ما توافرت نفس الأسباب والدوافع التي دفعت بالإمام الهادي عليه السلام إلى ذلك.

هذا ما يجب أن يكون!

التحرك في الظروف الصعبة

من يحمل قضية أو رسالة يجب عليه أن يتحمل مسؤولياتها حتى ولو كان في أحلك الظروف، وأن يفكر في إبداع وسائل يمكنه من خلالها تأدية رسالته.

وهكذا كان الإمام الهادي عليه السلام، فبالرغم من أنه عليه السلام قد وضع تحت الرقابة والإقامة الجبرية في سامراء، إلا أن ذلك لم يوقف تحركه ونشاطه، بل كان يتحرك ويعمل بشكل أكبر مما كان في المدينة، ومع ذلك فإن السلطات لم تستطع أن تدينه بأي مستمسك ضده، نتيجة للعمل بصورة سرية ومنظمة - كما مر الحديث سابقاً -.

أما عندما يكون الإمام في سامراء - حيث عاصمة الخلافة - فإنه يقوم بإدارة شؤون القيادة داخل الدولة، فمثلاً، في عهد أحد كبار الخلفاء العباسيين وهو المتوكل، والذي كان أشد من غيره بطشاً وتنكياً بالرساليين، حيث أمر سنة ٢٣٦هـ بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام، وما حوله من الدور، وأصر أن يحرق ويبذر، ويُسقى موضع قبره وأن

يمنع الناس من زيارته، وأمر صاحب الشرطة بإقامة مباني على الطريق المؤدية للقبر، ويكون عملها (أي الشرطة) هو قتل كل من يرى أنه آت لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فحرت ذلك الموضع وزرع ما حوله، ذلك لأن القبر كان بمثابة البركان والرمز الذي يحافظ على روح الثورة ورفض الظلم عند الناس.

عاش الإمام الهادي عليه السلام في سامراء ومع ذلك كان يأتي في بعض الأوقات الوشاة (وهي كلمة كانت تستخدم قديماً للعيون والجواسيس) إلى المتوكل ويقولون: أنت خليفة أم علي بن محمد الجواد، فقد كان قادة الجيش وعمامة الناس يميلون إليه، صحيح أنت الذي تصلي بالناس في بعض الأوقات وأنت الخليفة الرسمي، لكن الذي يقود البلاد واقعياً هو الإمام علي الهادي عليه السلام»^(١).

فالإمام علي الهادي عليه السلام إذن كان يوجه الأمة ويقودها وهو تحت الرقابة والجواسيس يحيطون به، ولاشك أن هذا العمل ليس بسيطاً، بل إنه عمل ضخم جداً، وإذا أردت أن تعرف ضخامة هذا العمل فما عليك إلا أن تؤدي بعض الأعمال في ظروف أقل خطورة من تلك أيضاً، كما لو كنت في السجن مثلاً.

«وكان الإمام الهادي يستلم الأموال الطائلة - بالطرق

(١) التاريخ الإسلامي: ص ٣٦٨.

السرية أو العلنية الممكنة من مواليه كالزكاة والخمس والخراج، ويصرفها في المصالح الإسلامية العامة لحركته بعيداً عن أعين الحكام والعاصمة العباسية»^(١)، فهل نستفيد من هذا الدرس العظيم؟ إننا نلاحظ أن بعض الأفراد بمجرد أن يلاقوا بعض المشاكل والظروف الصعبة نتيجة لتحملهم أعباء الدعوة إلى رسالة الإسلام وقيمه فإنهم يتنازلون عن كل أهدافهم خلال لحظة واحدة!! ويقولون: ما لنا والمشاكل!!!

فهل نقتدي بإمامنا الهادي عليه السلام الذي كان يقود الأمة وهو تحت الرقابة المشددة؟؟!

هذا ما ينبغي للمؤمنين فعله في ظل أجواء الكبت والقهر والاستبداد، أما إذا كان المؤمنون يعيشون في ظل أجواء الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان فينبغي أن يكون العمل الإسلامي قائماً على الوضوح والشفافية والعلن بعيداً عن السرية والكتمان التي لا مبرر لها إلا في ظل الاستبداد والدكتاتورية.

(١) الأئمة الاثنا عشر: ص ٢٣١.

مواقف رسالية

الشخصية المبدئية لا تساوم ولا تهادن حينما يتعلق الأمر بالمساومة أو المهادنة بالقيم والمبادئ، ولا تتنازل عن أهدافها المقدسة، بل تبقى صامدة وثابتة في كل الظروف، وأمام كل العقبات، أما الشخصية (التجارية) فإنها مستعدة لعقد صفقات البيع والشراء على حساب الدين والقيم!!

فالإمام الهادي عليه السلام، والذي هو قدوتنا وأسوتنا يقدم لنا نموذجاً في كيفية تعامل الشخصية المبدئية مع الطواغيت.. فهلم بنا نتتبع مواقف الإمام الهادي عليه السلام مع طواغيت عصره لنستفيد منها.

«سُعي إلى المتوكل بعلي بن محمد الجواد عليه السلام أن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وفي رواية من شعر، وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات

من القرآن. وفي رواية يصلي وهو يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل، وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل في مجلس الشرب فدخل عليه، والكأس في يد المتوكل، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس التي كانت في يده. فقال: والله ما يخامر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً، فقال عليه السلام، إني قليل الرواية للشعر. فقال: لا بد. فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم
وأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم
أين الأساور والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرًا وقد شربوا
فأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

وطالما عمروا دوراً لتسكنهم
ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا
ففرقوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة
وساكنوها إلى الأحداث قد نزلوا

قال: فبكى المتوكل حتى بليت لحيته بدموع عينيه،
وبكى الحاضرون، وودع إلى علي عليه السلام أربعة آلاف دينار
ثم رده إلى منزله مكرماً^(١).

هذا هو الإمام الهادي عليه السلام والذي كان رمزاً للرفض
والثورة والجهاد؛ يقف هذا الموقف البطولي أمام طاغية من
أشد الطغاة إرهاباً وتنكيلاً بالمؤمنين، إنه المتوكل العباسي
الذي قتل العلويين شرّ قتلة، وأباح دمهم، وأهدر حقوقهم،
يقف الإمام عليه السلام بكل شجاعة وبطولة ليعبر عن استنكاره
وموقفه الرسالي الحازم، ويرفض أن ينساب عليه السلام مع هوى
طاغية عصره، وعندما انشد أبياتاً من الشعر كانت موجهة
توجيهاً دقيقاً نحو عواطف وأحاسيس الإنسان، إنه الحديث
عن الموت.. ذاك الهاجس الذي يخشاه الطغاة ويهابونه!!
إن الإمام عليه السلام حينما تحدث عن الموت أشار إلى

(١) في رحاب أئمة أهل البيت: ص ١٧٨ / ج ٤.

قضايا مهمة مثل: الترف والبذخ، واللامبالاة، الاهتمام بزخارف الدنيا، وكثر الأموال وعدم إنفاقها في سبيل الله ليرسل رسالة إلى تلك الطبقة البرجوازية (المترفة) التي كانت مجتمعة عند المتوكل، وهو بذلك يثير قضية الابتعاد عن القيم والمبادئ، وما يعني ذلك فيما بعد الموت من مخاطرة ومجازفة يرتكبها مثل هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.. إنه العذاب الأليم وبئس المصير!!

إن الإمام عليه السلام حينما أنشد هذه الأشعار أمام المتوكل وزبانيته لم تكن شيئاً عادياً، بل كانت تعبر بوعي عن مواقف الإمام، ومن ثم معارضة الإمام لحكم هؤلاء، ولك - عزيزي القارئ - أن تتصور وقع وأهمية هذه الأشعار لو استطعت أن تنشدها أمام طاغوت عصرك!!

إذن علينا أن نتخذ من الإمام عليه السلام قدوة لنا في جهادنا ونشاطنا الدعوي، وأن لا نتنازل عن أهدافنا المقدسة، بل يجب علينا أن نعبر عن رفضنا لطواغيت عصرنا بكل الوسائل الممكنة: الشعر - النثر - القصة - الكتاب - المسرحية.. إلخ.

وموقف آخر يقدم لنا الإمام عليه السلام فيه ما يجب أن يكون عليه المؤمن الرسالي من الشجاعة والقوة والوعي بأهل زمانه.. فقد جاء في الرواية:

«روى أبو سعيد سهل بن زياد قال: حدثنا أبو العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب ونحن في داره

بسامراء فجرى ذكر أبي الحسن عليه السلام فقال: يا أبا سعيد إنني أحدثك بشيء حدثني به أبي قال: كنا مع المعتز وكان أبي كاتبه فدخلنا الدار، وإذا المتوكل على سريره قاعد، فسلم المعتز ووقف ووقفت خلفه، وكان عهدي به إذا دخل رحب به ويأمره بالقعود فأطال القيام، وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى وهو لا يأذن له بالقعود..

ونظرت إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول: هذا الذي تقول فيه ما تقول، ويردد القول، والفتح مقبل عليه يسكنه ويقول: مكذوب عليه يا أمير المؤمنين وهو يتلظى ويقول: والله لأقتلن هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب، ويطعن في دولتي، ثم قال: جئني بأربعة من الخزر فجيء بهم ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يרטنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن عليه السلام، ويقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه، وهو يقول: والله لأحرقنه بعد القتل، وأنا منتصب قائم خلف المعتز من وراء الستر.

فما علمت إلا بأبي الحسن عليه السلام قد دخل، وقد بادر الناس قدامه، وقالوا: قد جاء والتفت فإذا أنا به وشفته يتحركان، وهو غير مكروب ولا جازع، فلما بصر به المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه، وهو سبقه، وانكب عليه فقبل بين عينيه ويده، وسيفه بيده، وهو يقول: يا سيدي يا ابن رسول الله يا خير خلق الله يا ابن عمي يا مولاي يا أبا

الحسن!! وأبو الحسن عليه السلام يقول: أعيدك يا أمير المؤمنين بالله (اعفني) من هذا، فقال: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت، قال: جاءني رسولك، فقال: المتوكل يدعوك؟ فقال: كذب ابن الفاعلة ارجع يا سيدي من حيث شئت يا فتح! يا عبيد الله! يا معتز! شيعوا سيدكم وسيدي!!!

فلما بصر به الخزر خروا سجداً مذعنين فلما خرج دعاهم المتوكل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون، ثم قال لهم: لِمَ لَمْ تفعلوا ما أمرتم؟ قالوا شدة هيبتة رأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأملهم، فمنعنا ذلك عما أمرت به، وامتلات قلوبنا من ذلك، فقال المتوكل: يا فتح هذا صاحبك، وضحك في وجه الفتح وضحك الفتح في وجهه، فقال: الحمد لله الذي بيض وجهه، وأثار حجته^(١).

إن نظرة تأمل في هذه الرواية تعطينا درساً نموذجياً في أن المؤمن الصادق والمخلص فرد يمتلك (الوعي) و (البصيرة) وكل مقومات الشخصية الرسالية المبدئية، ولذا فإن المؤمن الرسالي قوة معنوية يخشاها الطاغوت وكل مؤسساته التي يقوم عليها...!!

أيها القارئ العزيز:

لا يكفي أن تطالع هذه الرواية مرة واحدة، كما لا

(١) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ١٩٦، رقم ٨.

يكفي أن تقرأ هذه الرواية قراءة سطحية، بل عليك أن تطالع ما وراء السطور، فنظرة تأمل في هذه الرواية توضح لنا الأبعاد القيادية في شخصية الإمام الهادي عليه السلام، وأنه كان يشكل (قوة) يخشاها المتوكل وكل زبائنته، بل أن المتوكل من هلعه وخوفه من الإمام يعترف للإمام بمكانته القيادية الشرعية «ارجع يا سيدي من حيث شئت، يا فتح يا عبيد الله! يا معتر! شيعوا سيدكم وسيدي» وأيضاً «فلما بصر به المتوكل - أي الإمام - رمى بنفسه عن السرير إليه، وهو سبقه، وانكب عليه فقبل بين عينيه ويده، وسيفه بيده، وهو يقول يا سيدي.. يا بن رسول الله.. يا خير خلق الله.. يا بن عمي.. يا مولاي يا أبا الحسن!!» ومتى كان النظام يتعامل مع المعارضة بهذا التعامل؟ بل مع قيادة المعارضة؟ ومفجر الأوضاع في وجه السلطات؟؟!

ولكن وراء الأكمة ما وراءها.. فالإمام ليس شخصاً عادياً يمكن أن ينفذ المتوكل فيه ما يريد!! ولو كان المتوكل يستطيع أن ينال من الإمام لما توانى أو امتنع عن ذلك.

وفي وقتنا المعاصر نجد أن الاستعمار وكذلك الطواغيت في كل مكان يريدون من المؤمن أن يتحول إلى فرد (طيب خيّر) بالمفهوم السلبي وكما يقول المثل (كاف عاف) لا يتدخل في شيء حتى ولو كان يعنيه!!، ويتعد عن كل شيء في هذه الحياة الدنيا، ويتعامل مع الآخرين حتى ولو كانوا أشراراً ببرودة مفرطة!!

ولكن المؤمن الرسالي يأبى ذلك، لأن لديه رسالة، ويدعو إلى الإسلام كمنهج للحياة، ويرفض الخضوع للطواغيت وذلك اقتداءً بالإمام الهادي عليه السلام.

تأملات في كلام الإمام

تعتبر كلمات الأئمة عليهم السلام إرشادات وتوجيهات للأمة يجب على الأمة الأخذ بها لأن قول المعصوم وفعله وتقريره حجة - كما يقول الأصوليون - ومن هنا فإننا سنحاول في نهاية بحثنا هذا أن نستلهم من توجيهات الإمام الهادي عليه السلام ما ينير لنا مسيرتنا في الحياة.. فهيا بنا نتدبر في توجيهات الإمام عليه السلام.

البصيرة ضمان الاستقامة

يقول الإمام الهادي عليه السلام:

«من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرص ونشر»^(١).

الاستقامة تحتاج إلى خطوات كبيرة ودائمة بينما الانحدار لا يحتاج إلا إلى تقديم خطوة واحدة نحو الانحراف!! إذن إن

(١) تحف العقول، ص ٣٥٨.

البناء بحاجة إلى سنوات طويلة وبصورة دائمة من أجل أن يتكامل ولو نسبياً، بينما الهدم لا يحتاج إلا إلى لحظة واحدة تقرر فيها انسحابك من الميدان.. ثم تبدأ بالانسحاب!!

والإمام عليه السلام يوجهنا نحو أهمية امتلاك البصيرة « من كان على بينة من ربه » إذ أن امتلاك البصيرة هي الضمانة الوحيدة نحو الاستقامة والنتيجة: « هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر ».

فلماذا يتراجع أولئك الأفراد الذين كانوا بالأمس القريب رسل الدعوة إلى الله وموجهو الناس إليها، وإذا بنا نراهم يصبحون بعيدين عن قيم الإسلام ومبادئه.

ببساطة.. لأنهم لم يمتلكوا البصيرة، وإنما امتلكوا تفكيراً مثالياً ولذلك فإنهم انهاروا أمام ضربات الواقع وتحدياته!
فمن أجل أن نستقيم علينا أن نمتلك البصيرة.

لنبحث عن الجدية في الحياة

يقول الإمام الهادي عليه السلام:

« الهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال.. »^(١).

الفرد المؤمن هو ذلك الإنسان الذي يستثمر كل ما في الحياة في سبيل رضا الله سبحانه، فهو لا يعيش في حياته

(١) في رحاب أئمة أهل البيت، ج٤، ص ١٨١.

(شخصية هزلية)، بل يتمتع بالروح المسؤولة، بينما نجد في المقابل أفراداً يعيشون على هامش الحياة، ويفرغون الحياة من كل عمل جدي، إنهم يقومون بدور تمثيل (هزلية الحياة) ويرون أن كل ما في هذه الحياة إنما هو لأجل اللعب واللهو!! هم الذين نطلق عليهم بالمصطلح العامي (شباب الشوارع) فهم يتسللون من شارع إلى شارع، أحدهم يهزأ من هذا ويسخر من ذلك، هؤلاء هم الجاهلون والسفهاء - على حد تعبير الإمام عليّ عليه السلام - .

لنتعامل بإيجابية مع المشاكل

«المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان»^(١).

هناك من يتعامل بإيجابية مع المشاكل، والمقصود بذلك: أن تتعامل معها بواقعية، فعدم رضاك بالواقع لا يغير من الواقع شيئاً، فإذا تعامل مع الواقع بما هو واقع! أما أولئك الأفراد الذين يتعاملون مع المشاكل بنفسية سلبية فإن هؤلاء تتابهم جرعات من القلق والاضطراب وبذلك تتحول المصيبة لهؤلاء إلى مصيبتين!!

فإذن من أجل أن نعيش حياة سعيدة علينا أن نتعامل مع الواقع بإيجابية.

(١) نفس المصدر السابق.

الخاتمة

قصار الحكم للإمام الهادي عليه السلام



من قصار الحكم للإمام الهادي عليه السلام

قال عليه السلام لبعض مواليه: عاتب فلاناً وقل له: إن الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عوتب قبل.

وقال عليه السلام: إن الله بقاعا يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والخير منها^(١).

وقال عليه السلام: من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع، ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فلييقن أن يحل به سخط المخلوقين.

وقال عليه السلام: إن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به. نأى في قربه وقرب في نأيه، كيف الكيف بغير أن يقال: كيف، وأين

(١) الخير - بالفتح -: مخفف حائر والمراد أن الحائر الحسيني عليه السلام من هذه البقاع.

الآين بلا أن يقال: آين، هو منقطع الكيفية والآينية، الواحد الأحد، جل جلاله وتقدست أسماءه.

وقال الحسن بن مسعود^(١): دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وقد نكبت إصبعي^(٢). وتلقاني راكب وصدم كتفي ودخلت في زحمة^(٣) فخرقوا علي بعض ثيابي، فقلت: كفاني الله شرك من يوم فما أيشمك^(٤). فقال عليه السلام لي: يا حسن هذا وأنت تغشانا^(٥) ترمي بذنبك من لا ذنب له، قال الحسن: فأثاب إلى عقلي وتبينت خطائي، فقلت: يا مولاي استغفر الله، فقال: يا حسن ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشأمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها، قال الحسن: أنا أستغفر الله أبدا وهي توبتي يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام:

(١) لم نظفر في أحد من المعاجم بمن سمي بهذا الاسم من أصحاب أبي الحسن العسكري عليه السلام ولعله هو الحسن بن سعيد الأهوازي من أصحاب الرضا والجواد وأبي الحسن العسكري عليه السلام وهو الذي أوصل علي بن مهزيار وإسحاق بن إبراهيم الحضيبي إلى الرضا عليه السلام حتى جرت الخدمة على أيديهما، كان ثقة هو وأخوه الحسين وله كتب، أصله كوفي وانتقل مع أخيه إلى الأهواز وكانا أوسع أهل زمانهما علما بالفقه والآثار والمناقب.

(٢) نكبت إصبعي: خدشت وأصابته خدشة.

(٣) الزحمة: مصدر كالزحام من زحم - كمنع -: ضايقه ودافعه في محل ضيق. وخرق الثوب: مزقه.

(٤) كذا. والظاهر [فما أشأمك].

(٥) غشا يغشو - فلاناً -: آتاه. وغشى يغشى - المكان -: آتاه.

والله ما ينفعكم ولكن الله يعاقبكم بدمها على ما لا ذم عليها فيه، أما علمت يا حسن أن الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلاً وأجلاً؟ قلت: بلى يا مولاي، قال عليه السلام: لا تعد ولا تجعل للأيام صنماً في حكم الله، قال الحسن: بلى، يا مولاي.

وقال عليه السلام: من أمن مكر الله وأليم أخذه تكبر حتى يجل به قضاؤه ونافذ أمره. ومن كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر.

وقال داود الصرمي^(١): أمرني سيدي بجوانح كثيرة، فقال عليه السلام لي: قل: كيف تقول؟ فلم أحفظ مثل ما قال لي، فمد الدواة وكتب بسم الله الرحمن الرحيم أذكره إن شاء الله والأمر بيد الله، فتبسمت، فقال عليه السلام: مالك؟ قلت: خير، فقال: أخبرني؟ قلت: جعلت فداك ذكرت حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا عن جدك الرضا عليه السلام إذا أمر بحاجة كتب بسم الله الرحمن الرحيم أذكر إن شاء الله، فتبسمت، فقال عليه السلام لي: يا داود ولو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً.

وقال عليه السلام يوماً: إن أكل البطيخ يورث الجذام، فقليل له: أليس قد أمن المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة من

(١) هو أبو إسماعيل داود الصرمي - بفتح الصاد وقيل: بكسرهما - كان من أصحاب الهادي عليه السلام وهو شيعي إمامي حسن.

الجنون والجذام والبرص؟ قال عليه السلام: نعم، ولكن إذا خالف المؤمن ما أمر به ممن آمنه لم يأمن أن تصيبه عقوبة الخلاف.

وقال عليه السلام: الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لان النعم متاع. والشكر نعم وعقبى.

وقال عليه السلام: إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا.

وقال عليه السلام: إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه. وإن المحق السفية يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه.

وقال عليه السلام: من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك.

وقال عليه السلام: من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره.

وقال عليه السلام: الدنيا سوق، ربح فيها قوم وخسر آخرون.

قال عليه السلام: لا تمار فيذهب بهاؤك. ولا تمازح فيجتراً عليك.

وقال عليه السلام: من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم.

وكتب إليه بعض شيعته يعرفه اختلاف الشيعة، فكتب عليه السلام: إنما خاطب الله العاقل. والناس في على طبقات: المستبصر على سبيل نجاة، متمسك بالحق، متعلق بفرع الأصل، غير

شاك ولا مرتاب، لا يجد عني ملجأ. وطبقة لم تأخذ الحق من أهله، فهم كراكب البحر يمج عند موجه ويسكن عند سكونه. وطبقة استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الرد على أهل الحق ودفع الحق بالباطل حسداً من عند أنفسهم. فدع من ذهب يميناً وشمالاً، فإن الراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها بأهون سعي. وإياك والإذاعة وطلب الرئاسة، فإنهما يدعوان إلى الهلكة.

وقال عليه السلام: من الذنوب التي لا تغفر: ليتني لا أواخذ إلا بهذا^(١). ثم قال عليه السلام: الإشراف في الناس أخفى من ديب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة^(٢).

وقال عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

وخرج في بعض توقيعاته عليه السلام عند اختلاف قوم من شيعته في أمره: ما مني أحد من آبائي بمثل ما منيت به من شك هذه العصابة في، فإن كان هذا الأمر أمراً اعتقدتموه وودتم به إلى وقت ثم ينقطع فللشك موضع. وإن كان متصلاً ما اتصلت أمور الله فما معنى هذا الشك؟.

(١) أي قول الرجل المذنب ذلك إذا قيل له: لا تعص.

(٢) المسح - بالكسر - : اللباس والتقيد بالأسود تأكيد في إخفائه وعدم رؤيته بخلاف ما إذا كان غير الأسود لأنه ربما يمكن أن يراه إذا كان أبيض.

وقال عليه السلام: حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار. وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار. وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار.

وقال عليه السلام: من التواضع السلام على كل من تمر به، والجلوس دون شرف المجلس.

وقال عليه السلام: من الجهل الضحك من غير عجب.

وقال عليه السلام: من الفواقر التي تقصم الظهر^(١) جار إن رأى حسنة أطفالها وإن رأى سيئة أفشاها.

وقال عليه السلام لشييعته: أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ﷺ صلوا في عشائهم واشهدوا جنازتهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم^(٢)، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك. اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقراءة من

(١) الفواقر: جمع فاقرة أي الداعية العظيمة فكأنها تكسر فقر الظهر.

(٢) فالضمير يرجع إلى المخالفين أو مطلق الناس.

رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام.

وقال عليه السلام: ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله.

وقال عليه السلام: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً^(١) ويأكله غائباً، إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله^(٢).

وقال عليه السلام: الغضب مفتاح كل شر.

وقال عليه السلام: أقل الناس راحة الحقود^(٣)

وقال عليه السلام: أروع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام على الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب.

وقال عليه السلام: إنكم في آجال منقوصة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة، من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة، لكل زارع ما زرع. لا يسبق بطيء بحظه.

(١) أطرى فلاناً: أحسن الشاء عليه وبالغ في مدحه.

(٢) في بعض النسخ [خانه].

(٣) الحقود: الكثير الحقد.

١٣٠.....الإمام علي الهادي عليه السلام

ولا يدرك حريص ما لم يقدر له. من أعطي خيراً فالله أعطاه.
ومن وقى شراً فالله وقاه.

وقال عليه السلام: المؤمن بركة على المؤمن وحجة على
الكافر.

وقال عليه السلام: قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه.
وقال عليه السلام: لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض.
وقال عليه السلام: من تعدى في طهوره كان كناقضه.
وقال عليه السلام: ما ترك الحق عزيز إلا ذل، ولا أخذ به
ذليل إلا عز.

وقال عليه السلام: صديق الجاهل تعب.
وقال عليه السلام: خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله،
ونفع الإخوان.
وقال عليه السلام: جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى
العقوق في كبره.

وقال عليه السلام: ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون.
وقال عليه السلام: خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت
الحياة، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت الموت.
وقال عليه السلام: رياضة الجاهل ورد المعتاد عن عادته كالمعجز.

وقال عليه السلام: التواضع نعمة لا يحسد عليها.

وقال عليه السلام: لا تكرم الرجل بما يشق عليه.

وقال عليه السلام: من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه. ومن وعظه علانية فقد شانه.

وقال عليه السلام: ما من بلية إلا والله فيها نعمة تحيط بها.

وقال عليه السلام: ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله^(١).

وقال عليه السلام: الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال.

وقال عليه السلام: المرء يفسد الصداقة القديمة، ويجلل العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أن يكون فيه المغالبة، والمغالبة أسوأ أسباب القطيعة.

وقال عليه السلام: العتاب مفتاح الثقال، والعتاب خير من الحقد.

وقال عليه السلام: السهر ألدّ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام. (يريد به الحث على قيام الليل وصيام النهار).

وقال عليه السلام: اذكر مصرعك بين يدي أهلك، ولا طيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك.

وقال عليه السلام: اذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم.

(١) انظر كتاب: تحف العقول عن آل الرسول، ص ٣٥٦ وما بعدها.

وقال عليه السلام: الغضب على من تملك لؤم.

وقال عليه السلام: الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة.

وقال عليه السلام: خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله، وشر من الشر جالبه، وأهول من الهول راكبه.

وقال عليه السلام: إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يعمل في عدوك.

وقال عليه السلام: إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه.

وقال عليه السلام: القوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها، واعلموا أن النفس أقبل شيء لما أعطيت وأمنع شيء لما منعت^(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) البحار، ج ٧٥، ص ٣٦٥.

ثبت المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام دراسة تحليلية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٣- الأمين، السيد محسن، المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، مؤسسة أهل البيت، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، غير مذكور عدد الطبعة.
- ٤- الأمين، السيد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، غير مذكور عدد الطبعة.
- ٥- الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٦- دخيل، علي محمد علي، أئمتنا، دار المرتضى، بيروت -

- ٧- الشيرازي، السيد محمد، الموسوعة الفقهية: كتاب السياسة، دار العلوم، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٨- الصدر، السيد محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، غير مذكور عدد الطبعة.
- ٩- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوحيد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، غير مذكور تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة.
- ١٠- فوزي، محمد، عن الجهاد والثورة في حياة أهل البيت، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١١- فوزي، محمد، مفهوم التقية في الإسلام، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٢- القزويني، السيد محمد كاظم، الإمام الهادي من المهد إلى اللحد، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٣- المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، غير مذكور تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة.
- ١٤- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٣٥ ثبت المصادر والمراجع

- ١٥- المدرسي، السيد محمد تقي، التاريخ الإسلامي.. دروس
وعبر، دار البصائر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
١٦- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري
البغدادي، الإرشاد، المطبعة الحيدرية، النجف - العراق،
الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

المحتويات

| | |
|-----|--|
| ٩ | مقدمة الطبعة الثانية |
| ١٥ | المقدمة |
| ١٧ | البطاقة الشخصية للإمام الهادي <small>عليه السلام</small> |
| ٢١ | الفصل الأول: أعمال الإمام الهادي <small>عليه السلام</small> |
| ٢٣ | العمل الأول: قيادة الناس |
| ٣٣ | العمل الثاني: تعميق الفكر الإسلامي |
| ٧٥ | العمل الثالث: تفجير الأوضاع السياسية |
| ٧٦ | الإمام يهدد النظام الحاكم |
| ٧٨ | الثورات العلوية وعلاقتها بالإمام <small>عليه السلام</small> |
| ٨٥ | الفصل الثاني: دروس وعبر من حياة الإمام الهادي <small>عليه السلام</small> |
| ٨٧ | السرية في العمل |
| ٩٥ | التنظيم في العمل |
| ٩٨ | ١- التسلسل إلى داخل الجهاز الحاكم |
| ١٠٠ | ٢- توجيه الكوادر |
| ١٠٥ | التحرك في الظروف الصعبة |
| ١٠٩ | مواقف رسالية |

١٣٨.....الإمام علي الهادي عليه السلام

- ١١٧..... تأملات في كلام الإمام
١١٧..... البصيرة ضمان الاستقامة
١١٨..... لنبحث عن الجدوية في الحياة
١١٩..... للتعامل بإيجابية مع المشاكل
١٢١..... الخاتمة: قصار الحكم للإمام الهادي عليه السلام
١٢٣..... من قصار الحكم للإمام الهادي عليه السلام
١٣٣..... ثبت المصادر والمراجع
١٣٧..... المحتويات

الإمام علي الهادي عليه السلام

قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام

عبدالله أحمد اليوسف

بالإضافة للدور العلمي والفكري المهم الذي قام به الإمام الهادي عليه السلام فقد كان له دور سياسي بارز تمثل في موقف المعارض للحكم العباسي الفاسد، وقاد مسيرة النضال والكفاح ضد الظلم والاستبداد والانحراف والفساد الذي شاع في الدولة العباسية.

وقد أوضحت في هذا الكتاب بشكل مختصر أهم ما قام به الإمام الهادي عليه السلام من أعمال في حياته المباركة، ثم تطرقت لطريقة عمل الإمام وتحركه في ظل الظروف الصعبة التي عاشها، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية في سامراء، كما فرض عليه حصار اقتصادي خانق، وكان تحت المراقبة الشديدة من عيون النظام العباسي. ومع ذلك كان يمارس نشاطه وعمله كإمام معصوم، متحملاً مسؤولياته كزعيم ديني، وقائد عام للأمة الإسلامية.

واختتمت الكتاب بمجموعة من الكلمات القصار للإمام الهادي عليه السلام، وهي كلمات من نور تستحق منا الحفظ والعمل بها.

المؤلف في سطور

ولد عبدالله أحمد كاظم اليوسف في بلدة حلة محيش في
أطراف مدينة القطيف شرق المملكة العربية السعودية عام
١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

عالم دين وباحث في الشؤون الإسلامية.

صدر للمؤلف:

- ١- الإمام الهادي عليه السلام: قراءة تحليلية للسيرة الفكرية
والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام، طبع عام
١٤٠٥هـ، دار البصائر، طهران - إيران.
- ٢- الإمام الهادي عليه السلام: قراءة تحليلية للسيرة الفكرية
والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (بين يديك).
- ٣- الشخصية الناجحة، طبع ثلاث مرات، الأولى عام
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م مطبعة الرضا - الدمام. الطبعة

- الثانية عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار البيان العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار المحجة البيضاء - بيروت..
- ٤- الصعود إلى القمة، طبع الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار البيان العربي - بيروت، والطبعة الثانية عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٥- شرعية الاختلاف، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الصفوة - بيروت، والطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (بين يديك).
- ٦- فلسفة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار المفيد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مؤسسة البلاغ - بيروت.
- ٧- الخمس.. فلسفته وأحكامه، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار المفيد العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م دار المفيد العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
- ٨- الشباب.. هموم الحاضر وتطلعات المستقبل، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م مطبعة سيهات - السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
- ٩- الاجتهاد والتجديد.. قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد

- في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار الهادي، بيروت - لبنان.
- ١٠- مسائل التجديد... قراءة لقضايا التجديد في فكر
الإمام الشيرازي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،
مكتبة الرضا - البحرين.
- ١١- الحوار الإسلامي - الإسلامي.. رؤية من أجل إنماء
السلم الأهلي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار
الحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
- ١٢- ثقافتنا في عصر العولمة والإعلام، الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار الحجة البيضاء، بيروت -
لبنان.
- ١٣- خصائص الشباب.. من أجل أن يعرف الشباب
أنفسهم، مطابع الوفاء - الدمام، السعودية، الطبعة
الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٤- المرأة في زمن متغير، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ -
٢٠٠٤م، مطبعة خليج آفان، سيهات - السعودية.
- بالإضافة إلى الكثير من الدراسات والمقالات المنشورة
في العديد من المجالات الفكرية والثقافية المختلفة.

عنوان المؤلف

البريد العادي: المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية

ص. ب: ٨٤١ القطيف ٣١٩١١

البريد الإلكتروني: Alyousif@Alyousif.org

Alyousif50@Hotmail.com

الموقع على الإنترنت: www.Alyousif.org

الهاتف المحمول: ٠٥٠٣٨٤٤٩٩١